

سلسلة أعلام الفكر العالمي



ورياء

ف: د. نيرفانا مختار حراز

0093079



Bibliotheca Alexandrina

موريات

جميع الحقوق محفوظة

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

ساحة برج الكارلтон - ساحة المنيرة - ط ١ / ٨٠٧٩٠٠
بيروت - موكيال بيروت - ص ١٥ / ١٧٥١٦٠ بيروت

الطبعة الأولى

١٩٨١

سلسلة أعلام الفكر العالمي

فرانسوا موريال

تأليف: د. نيرفانا مختار حراز

المؤسسة
العربية
للدراسات
والنشر

١ - مقدمة

تنوع وثناء، إخلاص ووفاء، تفانٍ والتزام، إيمان وانطلاق،
 موهبة بل مواهب متعددة تنصهر في بوتقة الإبداع فتفيض سيلاً من
 الأعمال والكلمات.

إنه فرانسوا مورياك. مؤلف القرن العشرين الذي خلق في آفاق
 المجد، وازدحم صدره بالنياشين فما زادته إلا تواضعاً ونشاطاً. إن
 الإنسان - إذا ما بلغ الذروة في أحد المجالات - استحق الثناء
 والتقدير. فما بالنّا بروائي كتب روائع القصص في عصره، ومؤلف
 مسرحي قدم الأصالة والواقعية، وصحفي محنك أمضى حياته في
 الالتزام بقضايا عصره، ومناضل سياسي نطق بالحق والصدق في
 الدفاع عن المظلوم ونصرة الشعوب المغلوبة على أمرها، وشاعر نظم
 أروع الأبيات وهو لم يتخط بعد مرحلة الشباب، وناقد نزه قلمه

عن كل ما هوشائك أو غامض ؛ بل ما بالنّا بإنسان صدق القول مع
نفسه وخلف وراءه ثروة أدبية هائلة ارتبطت بالبشر ومعاناتهم وأدق
مشاعرهم !

د . نيرفانا مختار حراز

٢ - نبذة عن حياة فرانسوا موريك

ولد فرانسوا موريك عام ١٨٨٥ من مدينة بوردو وسط ميدان البورصة والجرس الكبير وبرج لي بيراند.

لكن بوردو لا تعني بالنسبة لموريك تلك المدينة فقط؛ بل اتسع نطاقها لتشمل كذلك أشجار الصنوبر المحيطة بها، والرمال التي تمتد على أطرافها، وأشجار الكرم التي تمتلئ بها.

حتى سن العشرين، لم يكن موريك قد غادر بوردو إلا لكي يذهب إلى لونجو أو بازاس أو أركاشان.

كانت هذه الأماكن بالنسبة لموريك محملة بالغموض، مفعمة بالشعر. لم يعرف موريك والده جون بول الذي توفي من سن الثانية والثلاثين بعد مولد موريك بعشرين شهراً. وتولت تربيته كلير

موريك ذات الوجه الأسباني وجدته إيرما كوافار سيدة قصر لونج.
نشأ موريك نشأة دينية مع إخوته ريمون وجون وبيير. وكان
موريك أضعفهم بنية.

أصيب وهو طفل في جفنه الأيسر وصار أخوته وزملاؤه من
المدرسة يضحكون منه ويلقبونه بـ «كوكو ذو العين الجميلة». كم
سببت له هذه السخرية من ألم! كان موريك يذهب إلى مدرسته من
شارع ميراي ثم انتقل إلى مدرسة أخرى في جراند لوبران يديرها
الرهبان وأمضى فيها ستة أعوام قبل أن يذهب إلى المدرسة الثانوية
لكي ينهي دراسته الفلسفية.

وقد أعجب موريك من جراندلوبران بأحد أساتذته هو الأب
بيكينيو الذي دفعه إلى قراءة باسكال وراسين.

أما في المدرسة الثانوية فقد تعرف بجويد دي لا فيل دي ميرمون
وحظي بأستاذ كبير هو مارسيل دي روان. وقد استوحى موريك
شخصيات قصصه من هؤلاء الذين تأثر بهم وعرفهم عن قرب.

في عام ١٩٠٤ التحق بالجامعة وأعد ليسانس الآداب تحت
إشراف فرتينا ستروفسكي. ثم أعد رسالة عن الفرنسيكان ولكنه
كان يريد أن ينطلق خارج بوردو.

وفي نهاية سبتمبر عام ١٩٠٧ حين أتم اثنين وعشرين عاماً تركته
والدته يرحل إلى باريس وحرصت على أن يقيم في مدرسة داخلية
يتولى إدارتها الرهبان.

لكن موريك بدأ في التعلق بالحياة السياسية والأدبية والعلمية وأخذ يمارس نشاطه في «السيون».

وفي عام ١٩٠٨ التحق بمدرسة شاريت لكنه لا يلبث أن يتركها ليخصص حياته للأدب. وفي العام التالي نشر ديوان شعر أسماه «الأيدي المبتهلة» ذلك الديوان الذي لاقى نجاحاً كبيراً.

وفي عام ١٩١١ نشر ديوانه الثاني «وداعاً للمراهقة» ثم في عامي ١٩١٣ - ١٩١٤ نشر أولى قصتيه «الطفل المكبل بالقيود» و«ثور النبلاء». والمعجيب أن موريك ارتبط خلال هذه الفترة بصداقة كل من يتمون إلى موطنه الأصلي.

وفي ٣ يونيو ١٩١٣ تزوج موريك في بورودو من جان لا فون ابنة الأديب الكبير أندريه لا فون ورزق منها بأربعة أطفال كلود وكثير ولوس وجون.

كانت زوجته تقف دائماً إلى جواره وتشاركه حياته الأدبية وحياته العامة.

لم يستطيع موريك الاشتراك في الحرب بسبب حالته الصحية إلا أنه شارك في الخدمات الصحية ورحل إلى سالوفيك حيث داهمه المرض وأعيد إلى بلاده.

غداة الهدنة بدأ مشواره الصحفي في «الجولواه» ثم في «إيكودي باريس» تلك الصحف البرجوازية المحافظة آنذاك.

وراح يكتب في موضوعات شتى تعكس موهبته في الملاحظة

والنقد. في عام ١٩٢٠ - ١٩٢٢ نشر ثلاثة كتب استطاع أن يحقق من خلالها المجد والشهرة وهي: «الجسد والدم» «الأصول البالية» و«قبلة الأجدم».

وحينئذ يستقبله جاك ديثير- الذي ينتمي هو أيضاً لبوردو- في «المجلة الفرنسية الجديدة» أو «لا نوفال روفو فرانسيز» وينشر فيها قصته «مهر النار» لكن اشتراكه في هذه المجلة الثقافية سيتوقف بعد موت ريفيير عام ١٩٢٥.

نشر موريك بعد ذلك «جينيتريكس» و«صحراء الحب» وفي عام ١٩٢٧ «تيريز ديسكيرو» تلك الأعمال التي حققت له الشهرة والمجد. ومنذ هذا الحين أصبح أحد أكبر كتاب عصره.

راح موريك يعقد المؤتمرات وينشر المقالات وأقام في إحدى الشقق الحديثة وترددت كلماته على الألسنة.

واجه فرانسوا موريك أزمة نفسية ودينية لم يفقد فيها إيمانه تماماً لكنه اهتز وتأثر بها إلى حد كبير.

وما إن ينجو من أزمته حتى يقع في أزمة صحية خطيرة في عام ١٩٣٢ في الوقت التي تظهر فيه إحدى روائعه وهي «ممكن الأفاعي». فيصاب في أحباله الصوتية بالسرطان ويخبره الأطباء أنه لن يعيش سوى بضعة شهور، لكن الجراحة الناجحة - التي أجريت له والتي تركت آثارها في صوته الذي أصبح كصوت الحشرة أو الاحتضار - تنجح في إنقاذه.

ولا شك أن الإحساس بالموت أو بنفحة الموت ودنو الأجل كان

تجربة تركت آثارها في نفس مورياك .

ويتم انتخاب مورياك عضواً في الأكاديمية الفرنسية بعد أن أثبت وجوده وحقق الشهرة والمجد .

ويواجه مورياك تحديات كثيرة على الصعيد السياسي : هتلر وفرانكو والفاشية الفرنسية .

ويتردد كثيراً في اختيار طريقه . ومنذ عام ١٩٣٤ ينشر مقالات تتميز بفكرة واضحة عن النازية .

فلقد أحس بغريزته وانتمائه للأرض بالدماء ، برائحة الدم التي ترتبط بالحشود الهتلرية .

وفي الوقت نفسه ، يقف في وجه الاعتداء الموسوليني فهو يعتبر دائماً أن الغزاة قوم ينكرون الحقوق على أصحاب الأرض لحقيقيين .

ويصرح برأيه في صحيفة «إيكودي باريس» أو «صدى باريس» رغم أن هذه الصحيفة لا تتبنى هذا الموقف .

ثم تأتي المشكلة الأسبانية . وتلك هي كلماته في «إيكودو باريس» بعد أن أقرت حكومة «بلوم» تقديم السلاح لحكومة مدريد : «ينبغي أن يعلم رئيس مجلس الوزراء أن بعضنا هنا يحاول أن يصعد تيار الكراهية الذي يحتاج الفرنسيين منذ تولى الجبهة الشعبية .

لقد اجتهدنا في اتخاذ موقف معتدل . ولقد أردنا - وسط جو الحرب الأهلية - أن نراعي العقل والحكمة وإذا كان قد ثبت أن سادتنا يساهمون بفاعلية في مذبحه شبه الجزيرة فإننا سنعرف أن

فرنسا لا يحكمها رؤساء دولة بل زعماء عصابات يخضعون لأوامر ما يمكن أن نطلق عليه الكراهية الدولية. . .

إن مشكلة التدخل قد طرحت بصورة غير سليمة. ينبغي وضع خطة عمل تتفق فيها جميع الأطراف - المنتمة لجميع الدول - على التدخل.

إننا يجب أن نعترف أن عدم التدخل - عند هذا الحد من الغضب الذي توصلت إليه المأساة - يشبه التآمر.

إن نجدة الرهائن من الجانبيين، وتخليص المعتقلين من الفريقيين، تلك هي الخطة التي ينبغي أن يتدخل بها الفرنسيون. . . . » (لوفيجارو في ١٣ أغسطس ١٩٣٦).

وسيستمر هذا التيار الذي بدأه موريك وخاصة منذ أبريل ١٩٣٧ حينما سحق طيران هتلر، الذي يخدم مصالح فرانكو، جرنیکا عاصمة الباسك.

وها هو موريك يشترك في لجنة لتأييد شعب الباسك. كما يقف إلى جانب العدالة في مواجهة الطبقة التي ينتمي إليها.

وغداة انتحار وزير الداخلية في حكومة ليون بلوم كتب موريك مقالاً غامضاً بعض الشيء لكنه استوحاه من تعاطفه مع ذلك الشخص الذي ترك المعركة.

وأعرب موريك عن أسفه لأنه لم يقدم مزيداً من المساندة لهذا الرجل.

راح مورياك يوسع نطاق نشاطه ويجمع مقالاته الصحفية تحت عنوان «جورنال»، ذلك العمل الذي يبرز موهبته كمعلق فوري على الأحداث الجارية.

وتعرض الكوميدي فرانسيز أولى مسرحياته التي تنال نجاحاً منقطع النظير.

وفي حوالى ١٩٤٢ يلتحق باللجنة القومية للكتاب التي أسسها جون بولون وجاك دوكور وجون بلونزا وجاك دو بويريدل وجون جيهانو وكلود مورجون.

كما ينشر كتابه الشهير «الكراسة السوداء» عام ١٩٤٣ تحت اسم مستعار «فورا».

وحين حانت ساعة التحرر، كانت الجميع ينظرون إلى مورياك بصفته أحد المتحدثين الطبيعيين باسم المنتصرين. وقد طلب منه صديقه بيير بريسون - حين عادت صحيفة الفيجارو للظهور في باريس - أن يكتب المقال الافتتاحي في ١٩ أغسطس ١٩٤٤.

وكان المقال تكريماً للجنرال ديغول. وقد أعجب به رئيس فرنسا الحرة حتى أن مورياك كان أول كاتب يستقبل ديغول في أول سبتمبر.

وها هو يقف في الصفوف الأولى خلال اجتماعات الجبهة الوطنية، تلك الهيئة التي تضم جميع جبهات المقاومة.

ويشن في الفيجارو حملة ضد سياسة القمع. وينكر أنه مناهض للشبيوعية في حين يصبح ابنه كلود من أقرب المعاونين لديغول.

وفي هذه الأثناء لا ينسى موريك نشاطه الأدبي فقد كتب أجمل مسرحياته «الذين أسىء جهم» أثناء الاحتلال ونجحت هذه المسرحية نجاحاً كبيراً حين قدمت عام ١٩٤٥ في الكوميدي فرانسيز.

وعرض بعد ذلك مسرحيتين وهما «مرور الماكر» و«النار على الأرض» لم تنجح الأولى مثل السابقة، لكن الأخيرة عادت فأكدت النجاح.

وفي مجال القصة نشر موريك «جاليجي» عام ١٩٥٢ و«الحمل» عام ١٩٥٤ ثم «الساجوين» (أو «القدر») وبعد ذلك حصل على جائزة نوبل في الأدب.

وبحصول موريك على جائزة نوبل خرج من نطاق بلاده إلى المستوى العالمي وأحس بمزيد من الالتزامات تفرض عليه تجاه المحيطين به وبالدور الذي ينبغي عليه أن يقوم به على الصعيد السياسي والأدبي والصحفي.

وأصبح موريك من أعظم الصحفيين الذين عرفتهم فرنسا ولا شك أن توصله إلى هذا المستوى استلزم - إلى جانب موهبته - الفرصة المواتية وقد جاءت الفرصة مع صحيفة «الإكسبريس» فقد قدم موريك الكثير في «إيكودي باريس» ثم في «الفيجارو» وقرأنا له عن الهند الصينية والأزمة المغربية ولكن مع نهاية ١٩٥٢، التقى موريك بمؤسسي «الاكسبريس» الذين رحبوا به أيما ترحيب كما أعجب هو بهم أشد الإعجاب واستمر يعمل معهم طيلة سبع

سنوات يعملون جميعاً من أجل الدفاع عن رجلهم بيير منداس فرانس وإبراز شخصيته والدفاع عن قضية الجمهورية الرابعة.

لكن هؤلاء الصحفيين ما لبثوا أن انفصلوا بسبب رجل آخر هو الجنرال ديغول وحكومة أخرى هي الجمهورية الخامسة.

وفي هذه الأثناء، نشر موريك «مفكرته» أو «البلوك - نوت» منذ عام ١٩٥٣ - ١٩٥٩ ولا شك أن هذا العمل يعد من أروع الأعمال الصحفية باللغة الفرنسية ذلك أنه يتصل بكل الموضوعات، يتصل بكل شيء، يتصل بالكاتب نفسه، ويتصل بالأحداث الأدبية، والأحداث التاريخية، وكل ما يدور حوله، يتصل بالفقه والأدب والسياسة.

ويسعد موريك بعودة الجنرال ديغول إلى الحكم في نهاية مايو عام ١٩٥٨ كما يسعد أيضاً بتوقيع الاتفاقيات التي تضع حداً لحرب الجزائر في مارس ١٩٦٢.

لم يكف موريك عن الكتابة حتى سن الثمانين، واستمر في نشر مقالاته في «الفيجارو الأدبي» ونشر كذلك آخر قصة نشرت له خلال حياته وهو «مراهق الأمس».

وفي ١٥ أغسطس عام ١٩٧٠ أرسل موريك إلى «الفيجارو الأدبي» آخر مقال له.

توفي موريك في أول سبتمبر قبل أن يحتفل بعيد ميلاده الخامس والثمانين وهكذا سبق ديغول ببضعة أسابيع وترك لنا قصة لم تكتمل

أسماءها «مالتا فرن» استوحى اسمها من الضيعة التي كانت تملكها عائلته .

وقد تلقت زوجته عند وفاته رسالة من الجنرال دييجول قال فيها :
«إن برودة شديدة تملكني فأنا أشعر تجاهه بعرفان زائد لأنه كان دائماً
يسعدني ويشرفني ويمدني بتأييده القوي وصداقته الكريمة ووفائه الذي
لا يتزعزع...»

٣ - مولد شاعر

بدأ موريك حياته الأدبية شاعراً حيث قدم عملين هما: «الأيدي المبتهلة» سنة ١٩٠٩... «ووداعاً للمراهقة» سنة ١٩١١. وكان موريك حتى سن الثلاثين يعتبر شاعراً فقط لكن الغريب أن أعماله في المجالات الأدبية الأخرى كمجالات الصحافة والمسرح والنقد وبصفة خاصة مجال القصة هي التي حققت له الشهرة. وذاع صيت موريك في العالم أجمع كروائي.. وكاد الناس أن ينسوا أعماله الشعرية.. وقد تألم موريك كثيراً لأن المعجبين به أغفلوا هذا الجانب الذي كان يعد جانباً أساسياً في موهبته الأصلية.

وجدير بالذكر أن الأعمال الأدبية الشهيرة لفرنسوا موريك قد تأثرت بصورة كبيرة بذلك الحس الشعري الذي كان يتميز به. وقد كان الشعر بالنسبة لموريك طوال حياته عاطفة جياشة خفية تمزقه

وتسبب له الألم والاضطراب... لكنها تشع بريقاً من السعادة المتلازمة... وقد ذكر مورياك في «مذكراته الخاصة» أن «الشاعر طفل لا يموت... طفل يظل يحيا محروماً من ملاك الطفولة الحارس، طفل لا يستند إلى حاجز... فريسة لجميع العواطف التي يجيش بها قلب الرجل وجسده... وفريسة لذلك الغليان الغامض في دمه»... إن ذلك التعريف يؤكد على تلك الغرابة التي تميز الموهبة الشعرية... إن الشاعر طبيعة مزدوجة فهو إنسان مختار، وطفل مدلل، لكنه يخشى دائماً أن يصاب بتلك اللعنة التي تصحب الموهبة الغامضة... يفسر لنا هذا تلك المواقف المتناقضة لمورياك نفسه تجاه الشعر، تلك المواقف التي كان أحياناً يشور ضدها ويرفضها ويصفها بأنها كانت «حسية وجسدية أكثر مما ينبغي»... (في حديث مع إيديث مورا)... ولكن هذا لم يكن يزعزع فكرته عن نفسه فقد كان يؤكد دائماً أن موريس باراس لم يخطئ مطلقاً حين اعتبره شاعراً وكان مورياك يدعو قراءه إلى أن يبحثوا عن حقيقته من خلال شعره.

كان مورياك دائماً واثقاً مقتنعاً منذ فترة المراهقة بأنه شاعر... وربما استطعنا أن نقول إن إيمانه بموهبته الشعرية كان يضاهي إيمانه بالله... كان يختار من يتحدثون بلسانه وفقاً لمقاييس غامضة لا يعرفها إلا هو نفسه.

وقد تأثر مورياك بعدد كبير من الشعراء الذين سبقوه من أمثال نيرفال وبودلير ورامبو وخاصة بصديقيه جون دي لافيل دي ميرمون وأندرية لافون ذلك البرجوازي الذي عاش هو أيضاً في مدينة بوردو وكان والد زوجته.

كانت فكرة مورياك عن الشعر تحمله على الاعتقاد بأن هذا الفن -

تماماً مثل الإيمان - لا يقبل الوضع الوسط ولا يقبل أنصاف الحلول... إن عملية الخلق تتطلب ممن يقوم بها ويخوضها أن يهب نفسه كاملة لها . بل إن هذا الارتباط الوثيق بين الإنسان الخلاق وعمله هو الذي يؤدي في النهاية إلى التضحية بالشخص في سبيل عمله وبالطبع فإن كل معاناة أو ألم تصقل العمل وتزيده قوة وتثبت في الشعر مشاعر حية وصادقة . . وقد رفض - موريك بطبيعته الحذرة المتوجسة - أن يقوم بالاختيار .

كان يتردد كثيراً في أن يخطو تلك الخطوة وأن يدفع ذلك الثمن الباهظ فقد كان من العسير عليه نظراً للوسط الذي نشأ فيه وتربيته الدينية وميله الطبيعي لكل ما هو ملموس والحياة عملية ناجحة - أن يخوض ذلك الطريق الشاق الوعر الذي يؤدي في النهاية إلى التضحية بحياته الشخصية أو إلى حياة تعسة يشوبها الحزن وتظلل عليها الكتابة . . فقد كان دائماً متأثراً متخوفاً من خوض تجربة من سبقوه وتأثر بهم . لم يكن موريك يريد أن يضحي بما وهبته له الحياة من سعادة أو استقرار في سبيل تحقيق موهبته الشعرية . لهذا حاول دائماً منذ البداية أن يكيف الشعر مع احتياجات العقل ومع مصيره الخاص حيث بدأ بكتابة قصائد تتميز بالتعقل والحكمة ولا تعبر بصورة أو أخرى عن إبعاد مأساته الخاصة ثم نجح في أن يؤلف بين موهبته الشعرية وموهبته القصصية . . لكن موريك عاد وقدم في منتصف حياته الصورة الشعرية الخالصة في عمليين هما : «العواصف» و«دماء آتيس» وقد فسر موريك في «مذكراته الخاصة» موقفه تجاه الشعر من خلال نظرية الوراثة : «ما هو الشيء الذي حفظنا نحن الذين ما زلنا هنا ؟ . . إن الوراثة أصبحت في سني شيئاً آخر غير

مجرد كلام. شيئاً لا يمكن إثباته ولكننا - على مر حياتنا ومصيرنا - نكتشف الجانب الذي لا ينتمي إلينا نحن. «نحن» بمعنى المفكر وصاحب الرؤية والشاعر.

إن ذلك الحذر أو ذلك التهور المحسوب وذلك التنبؤ وذلك التوجس الذي يصرفنا عن كل مخاطرة لا طائل منها وذلك العلم الفطري الذي يمكننا من تمييز ما ينبغي أن نقوم به من حركات... كل هذا اكتسبناه من الموق وها أنذا أميزه الآن... اكتسبناه من هؤلاء الذين لم نعرفهم سواء كانوا من بوردو أو من الريف... لقد كانوا جميعاً من طبقة عمالية، من عمال التكرير في شارع سانت كروا، من تجار الأقمشة بشارع سان جيمس،... من مستوردي الأخشاب... إلخ.

هل كفوا يوماً عن أن يكبحوا جماحي بصورة خفية؟... إن الأفكار التي كانت توقفني فجأة وقد أوشكت أن أقوم بتصرف لا معقول أو لا يمكن اصلاحه لم تكن سوى إرداتهم تصرخ بداخلي. لقد أنقذوني إن لم يكونوا قد أضاعوني ذلك أن الشاعر ينبغي أن يضيع حياته بدلاً من أن ينقذها.

ظهر أول ديوان لموريك بعنوان: «الأيدي المبتهلة» سنة ١٩٠٩ وكان هذا أول عمل ينشر له... وفي هذا الحين، كانت هناك تيارات متناقضة تتنازع الشعر الفرنسي. فكانت هناك من جهة الأعمال التي تعد امتداداً لفن الشعر في القرن التاسع عشر، ومن جهة أخرى كانت هناك الأعمال التي تعد مقدمة للشعر الغنائي الحديث.

كان فرانسوا موريك حينئذ يبلغ من العمر خمسة وعشرين عاماً

وكان يميل 'إلى إحساسه الغريزي إلى أورتز التي قدمها فرانسيس جيمس حيث نظم المؤلف شعره للطبيعة والبراءة.

«إن الشعراء ينقلون بصدق صورة عصفور جميل أو زهرة تماماً مثلما يفعل الأطفال الذين يقلدون قدر استطاعتهم نموذجاً جميلاً للكتابة.» كما أننا لا نستطيع أن نغفل التأثير الكبير التي مارسه الشاعر أنا دي نواي أو المؤلف المسرحي إدمون رستون وهما يمثلان صدى لدائرة الرومانسية التي تعود.. فتتصل بجذورها الأصلية بفضل التيار السريالي.

وقد بدأ موريك في هذه القصيدة أكثر تقليدية وابتعاداً عن مزاجه الحقيقي كما كان جون كوكتو الذي بدأ هو أيضاً حياته الأدبية في نفس هذه السنة ١٩٠٩.. حيث قدم قصيدته «مصباح علاء الدين» التي انتقدها هو نفسه ورفضها فيما بعد. ولكن وجه الاختلاف هنا هو أن موريك يتميز بالصدق والإخلاص حيث يمكننا أن نعثر في كتابه على تلك المناظر الطبيعية التي عبر عنها في صورة مشاعر متأججة والتي ستصبح فيما بعد الديكور المبهر للتراجيديا الإقليمية النفسية في أهم أعماله.

«في دفء ليالي يونيو المضطربة
حين يسود الهدوء على المزارع
كان الراعي العجوز وسط صمت المراعي
ينصت إلى نحيب البحر الذي لم يشاهده من قبل»
والعجيب أن نجد موضوعات هذه القصائد فقيرة للغاية - كما تدل على ذلك عناوينها؛ خاصة وأن موريك كان في ذلك الوقت شاباً

يافعاً ناضجاً: «صديق الطفولة»، «الاجازات الطويلة»، «عيد القيامة»، «القداس»، «الامتحان الخاص»، «الحاطنة»

يعبر مورياك من خلالها عن حساسيته . . ولكنها حساسية . ويتخذ من الدين والحب والصدقة، من كل شيء حجة للمنة

«لقد تعلمت ألا أحس بالتعب
من الاشفاق على نفسي»

ورغم هذا فإن ذلك الديوان سيلقى نجاحاً منقطع النفاذ إنه سيحقق المجد للمؤلف . ذلك أن هناك بعض الأشخاص للشهرة والمجد مهما فعلوا كما أن هناك اشخاصاً خلقوا لكي يظا دائرة الظل رغم كل جهودهم، وفي ٢١ مارس سنة ١٩١٠ : مجلة «إيكودي باريس» (صدي باريس) مقالاً لموريس باريس «الأيدي المبتهلة» لفرانسوا مورياك: «منذ عشرين يوماً وأنا بتلك الموسيقى الساحرة لذلك المجهول . . إنها قصائد طفل لعائلة سعيدة، قصائد طفل صغير يتميز بالعقل والدقة والالسوية . لم يستطع شيء أن يكدر صفوة، شديد الحساسية، لا أحياناً من جنون اللذة . إنني أعطي لهذا المبتدئ أباً وجداً هما وقد تحرر من تأنيب الضمير، وسانت بيث وقد تحول قليلاً الفسيولوجيا لكننا يجب أن نلاحظ أن هذا المديح الذي صاغه با. لم يخل من التنبيه والتحذير والنصح الذي يميز كاتب بعيد النظر الادراك فقد أضاف: «ولكنه ينبغي أن يخرج من هذا الجارف، . . . وأن يصبح رجلاً . . . ، ينبغي أن يواصل مسه وأن ينطلق إلى الأمام وأن يكف عن التكاسل والركود.

سيحدث إذا لمصدر وحيه الخلاب؟.. إننا لا نحس في أولى انتفاضاته سوى كل ما هو نقي . لكنها حين تنطلق بعيداً عن دائرة الظل التي تحميه، فإنها ستعكس صوراً كثيرة وستعتمل فيها مشاعر شتى.. هكذا سيتخلى المراهق شيئاً فشيئاً عن سنين المراهقة التي تجذب الحب والإعجاب.. هل سيستطيع أن ينضج؟ تلك هي المشكلة.. النضج، النضج! كما قال سانت بيف.. إنه يزيدنا صلابة في بعض المواقف في حين يفسد مواقع أخرى.. لكننا لا ننضج «يا لها من مزحة فظيعة، لكن تجربة الحياة تبرهن في أغلب الأحيان على قسوتها..»

«في قاع الماء الصافي ثعبان زمردى
لدغني ذلك الحائن، حين سبحت فيه»

هكذا كان يتحدث أحد الشعراء في شبابنا عند اقتراب المساء . سمو في الألم ونظرة رائعة على جميع المراهقين . ينبغي إذا أن نحصن لدغة الثعبان الزمردى الملتف في قاع حوض الساحرات روحنا وأن تزيدها قوة . ينبغي أن نطرق بخطى ثابتة مرحلة شبابنا وأن نسعى لما هو أفضل منها . ليس من المكر أن نكون معجزة في سن العشرين ! لكن العسير هو أن نتحلّى بالكمال في الحياة وأن نثري منها كلما نزعنا منا أولى هباتها .

إن فرانسوا موريك الشاب في هذا الديوان الذي لا أرى فيه هفوة واحدة يعبر عن نفسه بكلمة رائعة : إنه يحدثنا عن ماضيه كطفل يتميز بالتقوى والحكمة وانني أؤيد تشخيصه . فهو يتميز بالعقل والإدراك السليم . إن خلاصه يكمن في تمسكه الشديد بذلك العقل

لكي يتسنى لموهبته الشعرية أن تثمر وأن تتفتح عن أربعة فصول من الأزهار والثمار.

ولم يصم موريك أذنيه عن نصائح بارايس الكبير وهكذا قدم في ربيع سنة ١٩١١ ديوانه الثاني بعنوان «وداعاً للمراهقة» وكان العنوان ذاته يحمل استجابة موريك لرأي الكاتب الكبير. تسبق القصيدة الأولى كلمات لشارل دي مويخ ذلك الإنسان البائس الذي أنهى حياته بنفسه وكتب عنه موريك «لقد كان ضحية مأساة شهد بارايس فصولها». . . وتعد «وداعاً للمراهقة» في مجموعها امتداداً «للأيدي المبتهلة». . . مع ذلك يمكن أن نجد فيها عناصر وموضوعات وعوامل نفسية خاصة بموريك دون سواه. . . وتعد مقدمة لتلك التي سيتناولها موريك فيما بعد في أعماله التالية لتمييز هذه الأعمال وتحقيق لها الشهرة

- «أيها المساء المتواطيء، أيها المساء الحزين
الذي تحوم عليه الخطيئة
ها هوذا دخانك الساكن على سطح السقف المائل
كأنه رغبة محمومة لا تجد ما يشبعها
أنا الطفل الذي تؤرقه أفكاره الشريرة
وسط الهدوء الشامل في الغروب الموهن»

ورغم أن موريك قد راعى في هذا الديوان نصائح بارايس إلا أنه لم يحظ منه هذه المرة بنفس التقدير.

وقد اختلف الأدباء والنقاد حول هذا العمل: فاجيبه يعتبر

موريك «شاعراً كبيراً لكنه سيفشل بالتأكيد».

أما آلان فورنييه فيقول: «إن شعر فرانسوا موريك متأرجح العاطفة، لكنه يتميز أيضاً بالحكمة والعقل. إنه لا يفيض طاعة وولاء مثل أشعار رامبو، لكنه يبدو على العكس وكأن الطاعة فضيلة طبيعية متأصلة فيه وأنه يتحلى بالحس الطبيعي للولاء».

إنه شعر طفل ثري يتميز بذكاء لمّاح، طفل لا يلوث شيئاً أثناء لعبه، طفل يحرص على الصلاة كل يوم أحد...

إن شباب الجيل الحاضر لا يقرأون فقط أفضل المؤلفين الذين ذكرهم موريك فقد أمضوا فترة المراهقة في قلق مضن وغالباً بائس، لأن معظمهم ليسوا من الشباب الذين يتمتعون بالثراء والإيمان».

ومنذ هذا الحين تقوقع الشاعر موريك وكف عن التعبير عن نفسه بصورة علنية لفترة طويلة وقال: «لقد كنت أدفع ثمناً باهظاً لذلك التخفي الذي فرضته علي - بلا مبالاة... - طبعي الحقيقية».

فيما بعد، أذان موريك بشدة أول أبيات نظمها واعترف بأنه يمقت مفهومها ومضمونها أكثر مما يمقت أسلوبه فيها: «تلك الأبيات بلا مقاطع، تلك القصائد الركيكة»، أما عن مضمون هذه الأبيات وفكرتها الرئيسية فقد ذكر: «إنني استنكر تلك المراهقة المتخاذلة المتخوفة المنطوية على نفسها... ليس لأنني أنكر إيماني وعقيدتي في ذلك الوقت... كما أنكر شعري... ولكن أسلوب في معتقداتي كان مماثلاً لأسلوبي في نظم الشعر... يا لها من موهبة... إن الطفل الذي يخشى كل شيء يستنشق الخداع، ويستخلص من القرابين

الانفعال، ومن الاحتفالات المتعة. وهو يجد في ذلك حنججاً قوية
تبرر تخاذله أمام الحياة... فهو يؤول إحساسه بالإعياء والملل
بأسباب ميتافيزيقية.

من المؤكد أنه ليس هناك شيء يسيء إلى الله داخل النفس
البشرية أكثر من استخدامه، خلال سنوات المراهقة المضطربة..

إن ما كنت أبحث عنه من خلال الدين وأنا في العشرين من
عمري كان دون شك أقل طرق الإحساس والانفعال خطورة.
(مقدمة الطبعة الجديدة لديوان الأيدي المبتهلة).

ومضي وقت طويل دون أن يظهر لموريك مؤلف شعري جديد
فهناك أربعة عشر عاماً كاملة تفصل بين «وداعاً للمراهقة»،
و«العواصف»، أربعة عشر عاماً شهدت مولد موريك الروائي الذي
سيحقق ذاته من خلال القصة وسيتوصل أخيراً إلى شكله الخاص
وأسلوبه الخاص وموضوعاته وأفكاره ومادته الخاصة ويثار من خلال
أدب الرواية - لفشله في مجال الشعر. وينشر رواية «قبلة الأجدم» سنة
١٩٢٢ ثم «نهر النار» و«جيتريكس» سنة ١٩٢٣ و«الشر» سنة
١٩٢٤.

ثم رائعة موريك «صحراء الحب» سنة ١٩٢٥.. وربما استطعنا
أن نقول إن الطابع الشعري لا يخفي تماماً لدى موريك بل يتخذ
صورة غير مباشرة ويشع بصورة خفية من خلال الكلمات والجمل
ليس كعامل دخيل على الموضوع أو كجسد غريب يمكن أن يرفضه
سياق الحديث، بل كإيقاع منسجم مع العمل في مجموعه يحقق

النبض واللون والضوء في آن واحد.

وجدير بالذكر أن هذه النبرة الشعرية ستشكل الطابع المميز الفريد للروائي موريك كما ذكر النقاد ابتداء من بيير هنري سيمون الذي أطلق على قصص موريك «القصبة الشعرية» . . . حتى ميشيل سوفران الذي تحدث عن شاعرية القصبة عند موريك فقد ذكر بيير هنري سيمون: «إن الذي يجتذبنا في كل مرة نفتتح قصبة جديدة لموريك . . . والذي يعلق بأذهاننا بعد أن ننتهي من قراءتها ليس مجرد حبكة أو مجموعة من الشخصيات، كما أنه ليس دائماً نموذجاً متميزاً، بل هو الجو النفسي وقد انصهر تماماً مع الجو المادي المتميز، انه ذلك المناخ الذي أصبح بفضل أسلوب موريك حقيقة روحية يعبر عنها بأساليب شعرية . .

أما ميشيل سوفران فقد ذكر أن «الشعر لدى موريك يعايش الفكرة وفي حين حرم الشعر من تعبيره المباشر، فقد اتخذ الصورة الظاهرية للقصبة ومظهرها الخارجي .

وفي حين لم تمس القوانين والقواعد الضرورية ولم تشوش على الشخصيات أو تكسبها زخرفة ربما تضر بصدقها وواقعيتها . . ساهمت على العكس في إثرائها وإحاطتها بشيء من الغموض الضروري . . هو غموض الحياة نفسها - كل الحياة» . .

ويأتي ديوان موريك «العواصف» سنة ١٩٢٥ ليسجل عودة موريك إلى التعبير الشعري المباشر . . وطبيعي أن نجد هناك هوة سحيقة وفارقاً شاسعاً من حيث النوعية والكثافة والشخصية بين هذا

الديوان الذي يحتوي على ثمانية وعشرين قصيدة حسية جريئة وبين القصائد التي كتبها موريك في شبابه.

يسجل هذا الديوان مأساة الجسد المولع باللذة والمتعة ومأساة النفس التي تبعتها عن العالم وعن الحياة الاجتماعية الصاخبة . . . تلك التقوى المتأصلة المتمكنة.

كل هذا عاجله موريك بصورة ذاتية لا تخطيء:

«ها هو صمعي يمينك، أكثر دهاء من النظرات
وتفنيك الرائحة الكامنة للرغبات
ها هو قلبي لا زال ينتهك جسدك
وبروميثيوس يحسد نيران وجهك
لا شيء يفضحني وأنا لا زلت أغتصبه»

إن ديوان «عواصف» هو دون شك كتاب عن الشهوة في حين نجد أعمال موريك الروائية أو المسرحية تعطي أهمية كبيرة وتركز بصفة خاصة على الرغبات الحسية وشهوات الجسد والخطيئة التي تنهزم في النهاية داخل النفس البشرية بتأثير الإشعاع الروحي والعناية الإلهية.

أما هذا العمل الشعري فيكاد يكون العمل الوحيد الذي يكشف فيه موريك بصورة صريحة وواضحة بل ويتعمد إبراز الناحية الحسية الجسدية والرغبات واللذات دون مراوغة.

«ألا تتذكرين أيتها الناعسة
تلك اللمسات المتحفظة
لو كنت يوماً أقل عرياً
وكنت كصديقتك هادئاً متعقلاً»

إن الشاعر يداعب بخياله هنا جسد المرأة بل إن اتحاد الجسدين
يندرج في إطار الخطيئة الأمر الذي يجعله أكثر جاذبية وخطورة. . .
وليس الفسق في حد ذاته الذي يشكل الخطيئة الفاحشة بل إحساس
المخطيء بأنه يفعل الشر وإدراكه لمدى خطئه وتلذذه مع ذلك بتلك
المتعة التي يسببها هذا الإحساس نفسه:

«سأظل دهرأ في انتظار تلك اللحظة
التي يسخر فيها من السماء جسداً العطشى
فيذا ما استنفذت حياتي أترقب وصولك
فقبلتك وحدها كفيلاً بأن تفنيني»

وقد أطلق موريك على إحدى قصائده اسم تارتيث وهو اسم
لشخصية شهيرة عند مولير.

ويبدو أن موريك أراد بهذا العنوان أن يعبر عن إيمانه بأن الشهوة
الماكرة الخفية تمثل في نظره خطأ لا يقل فحاشة عن الفسق والدعارة
نفسها.

«إن فرار النظرات، واختناق الخطوات
أكذوبة جنسية تكسبها السنين
بدأت استخدمها بشكل مهين

وحول الأجساد التي تجهلها أهيم

أما ايذا كيشنر - في كتابها الذي أطلقت عليه موريك ضمن مجموعة «الكتاب أمام الله» فهي ترى أن رفض شخصيات موريك للوصول إلى آخر المدى في طريق الخطيئة يمثل دون شك نوعاً من التهذيب والسمو والترفع بها.

وتستشهد على ذلك بأن الشاعر ينتهي دائماً برفض الخطيئة. . .

يعد ديوان «العواصف» من الناحية الشكلية عملاً رائعاً نظم بأسلوب تقليدي متمكن. وتشع منه موسيقى تنسجم تماماً مع الطابع الحسي للقصائد سواء كان مباشراً أو بصورة ملتوية.

وتردد تلك الموسيقى أصداً بعض الشعراء الآخرين الذين أعجب بهم وتأثر بأسلوبهم من أمثال بودليروكوكتورامبو كما أن قصيدة «المد الخائن» تتميز بظهور الأبيات على طريقة راسين العظيم تلك الطريقة التي ستكون السائدة في أضخم أعمال موريك الشعرية وأهمها:

«دماء آتيس»

«أيها الحب الحائر ودائماً متراجعاً
الن تنشر أبداً على رمالي القاحلة
تلك المرارة العائدة في الساعات المحتمة؟»

أمضى موريك وقتاً طويلاً في إعداد ديوانه «دماء آتيس» الذي نشر عام ١٩٤٠ فقد بدأ في هذا العمل منذ عام ١٩٢٧ ولم ينته منه إلا عام ١٩٣٨.

وكان موريك قد ألحق هذه القصائد بإحدى قصصه «طرق البحر» التي نشرت عام ١٩٣٩. وكان بطل هذه القصة شاعراً مؤلفاً لقصيدة «آتيس» التي ذكرت مقاطع منها خلال النص.

وببدو أن موريك كان يدرك أنه بصدد خلق أروع أعماله الشعرية بل وكان يشعر مسبقاً أنه سيكون آخر أعماله في هذا المجال الذي كان شديد الارتباط به منذ طفولته. . وقد ذكر موريك في عام ١٩٥٩ في حديث لإديث مورا: «كان ينبغي أن احتفظ بآتيس وأن أكمله وأن أقدمه في أكمل صورة. . كان ينبغي علي أن أتركه وراثي، وكأنه وصيتي الحقيقية».

وقد أوضح موريك في «مذكراته الخاصة» من خلال حديثه عن الشعر الكلاسيكي أنه كان حينئذ يسعى وراء سر ضائع. . . هو سر «نوع من الخيط من مادة جافة الأمر الذي نتج عنه قصيدة «آتيس» التي لا تزال من بين كل الذي كتبه القصيدة التي لا تصدمني بصورة كبيرة».

ولا يهم إذا كنت أنا الوحيد الذي لم تصدمه هذه القصيدة ؟ إن هذا هو ماكنت أسعى لاستمالاته. تلك العاطفة التي تتحرك وهي فريسة لمصيدة الكلمات التي لا يمكن لشيء أن يحل محلها. . . إن «دماء آتيس» تعد شعراً للوصف والسرد من جهة، وشعراً للسحر من جهة أخرى، وهي تتكون من تسعة عشر قصيدة متفاوتة الطول كتبت في معظمها من البحر الاسكندري (بحر شعري من اثني عشر مقطوعاً صوتياً) في حين كان الراعي فقط هو الذي ينطق بأبيات سباعية المقطع. أما عناوين هذه القصائد فتكاد تكون لفصول

إحدى قصص الحب البائس للآلهة سيبال وآتيس أحد الرعاة الأسطوريين..

وتدور هذه القصائد حول معركة رمزية ذات أبعاد كونية بين الجسد المولع بالحياة والروح أسيرة الرب، بين الوثنية والمسيحية.

إن سيبال لا تستطيع أن تجتذب آتيس ابن البشر الذي تدعوه وتتحكم فيه عواطف شتى. وتعتبر القصيدة الأولى في هذا الديوان عن خيبة الأمل التي تصاب بها الآلهة سيبال لفشلها في أداء مهمتها. وفجأة يتضح هذا البعد وعدم التناسب بين مشاعر الحب التي تمسها الآلهة سيبال وبين ذلك الشخص الذي تهبه حبها وقلبها. ولكن أليس الحب بصورته البسيطة بين البشر سعياً إلى تحقيق عملية انصهار غير متناسبة رغم تشابه الأجساد؟..

وتبكي سيبال (ذلك الكائن الذي لا شكل له) لأنها لا تملك ذراعين تحتضن بهما كائنات ضئلاً ضائعاً في غابات ومتاهات جسدها ورافضاً أن ينصهر فيه.

«خط من الرمال، ومرتفعات من الكثبان
خائل من الزبد والنباتات البحرية
ملامح الأهدا ب الهادئة على جفونك البنية
جيينك الجذب تحده غابات مظلمة
ووجهك أضاءته نيران حدقتيك المتلألئة
يا نجوم ليلى التي يسطع لهاها
على عالم آخر حين تغفلين

آتيس كل شيء نسج حلماً واحداً أمامي
أنت الطفل الذي يكتسحي والمحيط الذي
يضميني..»

أما الطفل «ذلك الوجه الجامد الملوث بالطين» فقد كان يريد أن
يهرب بعيداً عن تلك العاطفة الخائفة التي تسيطر عليه وتجعل لحيته
رئياً منفراً:

«لا زال الجسد نائماً
وأنا راحل مع أولى خيوط الصباح
عاجزاً عن الخروج من الظلال
التي ينشرها جسدك على الحياة»

إن آتيس يحلم بالحب الذي يناسبه ويحاول أن يجتمى في الغفوة
والنوم، الوسيلة الوحيدة للتخلص من السيطرة المتسلطة للطبيعة..
تلك الطبيعة بأنهارها وجبالها، بأشجارها وكائناتها، برغباتها وأحزانها
«لا تحس شيئاً سوى ذلك الجسد الخائن الذي يتألم ويعاني في ذراعين
تحفيين»..

ويرق قلب سيال تجاه ذلك الحنان الجارف الذي يكتسحها دون
جدوى فهي تعلم تماماً أن آتيس يرفضها في أحلامه لكنها لا تستطيع
أن تمنع نفسها من أن تسهر على ذلك الطفل الذي يغفو والذي
يحذبها الانفصال عنه:

«أحيط نومك بطنين الذباب الصامت
تخلله صيحات الديك الضائعة

ويجهل هذا النائم ثقل السماء
والرائحة التي ينتزعها مني وإبل الأمطار

وتراود القائم في أحلامه سلسلة من الرغبات فيرى أحياناً وجهها
محبباً إليه يرتسم في خياله.. إنها سنجارييس وهي عدو منافس،
عدو جسدي، بل حسي للغاية عدو لسيال وحينا يستيقظ ذلك
الشاب يجد نفسه مرة ثانية في برائن الآلهة سيال وقد أضحت أكثر
مكرراً وأكثر تمكناً من ذي قبل:

«سيال وحدها تنفذ
حتى شواطئ نهر الدم
وتحني جبهتها الثقيلة
على هوة كياني السحيقة»

ويبدو آتيس غير مبالي بكل ما يخص قوته وغريزته. وهو لا يحلم
بسنجارييس منافسة سيال إلا لتحقيق نوع من انتهازية الشاعر،
ويحس أنه يخشى مداعبات ولمسات سيال بدلاً من أن يرهب غضبها
وثورتها. إن آتيس يجهل ذلك «الزمن» الذي تؤلّفه سيال. ونشهد
هنا فاصلاً مشوقاً من التحول النفسي.. تدرك سيال - التي تجعلها
طبيعتها الإلهية فوق الموت - تدرك فجأة مأساة الزمن في قصة حبها
لإنسان محكوم عليه بالموت، هكذا يتخذ الزمن في نظر سيال صورة
آتيس المحكوم عليه بالموت.

ويا لها من لحظات أليمة تلك التي ستشهد فيها العاشقة الولهانة
العاجزة أول تحول لآتيس محبوبها:

« رأيت الطفل يمر عار فوق حصانه العاري
وجعلت الغصون العارية تمطر فوقه
فراح يضحك وقد غطى الشعر جسده
وتصاعد من البطن حتى القلب لهيبه
واشتعل لهيب أصفر في كل جسمه »

وغا الطفل وصار رجلاً وأصبح في صورته الحالية يسيطر على قلب
سيبال ويمارس ذلك الراعي على تلك العاشقة « الهائلة » كل السلطة
والتأثير. يخفي الساء في عيون سيبال ويحطم الماضي ويحيط المستقبل
بالسواد. وفيض، فهو الكون، . . . هل يدرك قوته . . ؟ إنه يشعر
بها لكن تجاهله يحميه منها. . ورغم ذلك فإنه أداة ثورة الإنسان
وغضبه سواء أراد ذلك أم لا . . . وتلقى الآلهة سيبال عقابها على
قسوتها التي لا تغتفر تجاه البشر من خلال تلك الآلام التي سببها لها
آتيس :

« لقد امتلكتني حتى قبل أن تأتي
وقد وطأ من سبقوك بالآلاف دري
فكانت أشواك قلبي تجرح سيقانهم العارية
كما كانت أيديهم تدميها أغصاني المجنونة
خاضوا الطريق وقطعوا الأغصان
حتى لا تجرح قدميك يا آتيس
ولكن هل كانوا يعلمون أنك ستأتي للانتقام
وتتنزع مني دموعاً تفوق ما سكبوه ؟ »

إن سيبال حين اكتشفت الحب أصابها الهوان والخزي . . وتذكرنا

تلك المرأة بغيردر في أوج أنوثتها وهي تحرص على تحقيق الانسجام حتى في قمة معاناتها، وتربط بين حبيبها والقيم العليا. . هذا الفرع الذي تثيره العاطفة يكاد ينكر الحقيقة على من حرموا منها.

إن جنون التسابق يحجب عن القلب مباحج المسيرة والتقدم. وها هو القلب العاشق يضحى من أجل تزويد معشوقه جراً ولكن ما الذي يمكن أن ننتظره من المرأة سوى اللامبالاة؟. . وهكذا يتخذ ابن الانسان مكانته بين الآلهة. . . وتكشف الأرض آتيس ككوكب شقيق:

«أبحث في هذا الجسد عن آثار غريبة
وأنت تقول: «هي الشمس التي أحرقتني»
وتقول: «تعرض صدري لسهام الجنوب»

ما هي تلك الآثار؟. . هل هي آثار قبلات سنجاريس أو آخرين أكثر غموضاً؟ هذه إنسانة فانية تترك آثار أسنانها على الجسد الشاب الذي فشل حب يفوق البشر في أن يؤثر فيه ويحركه. وراحت سيبال تفحص ذلك الجسد الخائن وقد استشاطت غيرة وغضباً من تلك الآثار التي اكتشفتها. . وتمضي في آلامها فكل أثر من هذه الآثار ليس إلا هاوية تسقط فيها، وكل طية من طيات هذا الوجه الحبيب تحكم عليها الخناق أكثر من السماء:

«تلك هي رسالتي الوحيدة. . أن أبحث عن التفسير
في هذا الوجه المغلق الذي سطر عليه المصير.»
وتحاول الآلهة سيبال أن تفر هاربة من آلامها فتنتقل إلى الأعماق

ولكن مياه آتيس تسيل وتبدو الأرض شبيهة بشمرة يمكن لدودة واحدة أن تفسدها. وتصعد سيال إلى ماضيها، تحرق مراحل ذاكرتها. . تحمي عشاقها لكي تجد نفسها دائماً أمام ذلك الوجه الوحيد الذي أضاعها جماله ويتغير العالم وتتخذ روعته مظهراً عذائياً. . .

إن سيال في الشعر تعد مرادفة للأحزان العميقة الملتهبة. . تصبح سعادة الحياة في نظرها مجرد مشاعر جذبة. . ويتصرف آتيس وكأنه لا يفهم تلك العظمة التي حلت عليه فجأة. ويصر على أن يضمم لتلك الآلهة كل الاجلال التقليدي الذي فرض على البسطاء. . . تضحيات وصلوات. . وتبرز المشكلة كذلك من خلال مفهومه التراجيدي عن التقوى الوثنية. ويحل الخوف محل الحب رغم الجهود التي يبذلها لكي يرد على الهذيان الذي يحاول باستمرار أن يقتحم قلبه ولا تظهر سيال في عينيه إلا وهي مغتظة. .

ويقول لها أنا وحدي الذي أمنحك الصوت. . فأنت تستمدين وجودك مني ولا تسيل مياهك إلا في عروقي :

«ها هو محيطك الحزين يموج
بتلك الآلام البشرية
بدموعي تمطرين
لا شيء أنت ولا أحد.»

ونرى هنا كيف يجهر آتيس بتجاهله لسيال. أما سيال فإن جبهها قد جعلها تنكر كل ماضيها. فإن عيني آتيس وحدهما هما الكفيلتان بمنحها الحياة أو بسلبها إياها لكن الغضب سيملي عليها صوته الرنان. . فتقول لآتيس ذلك الإنسان اللامبالي «فلترعدا» فأنت لا

تتنفس إلا بأمرى ؛ وأشجاري هي التي تحميك وتحتويك في منامك ،
وئماري هي التي تغذي سنجاريس والسماء تضج بصوتي بل ولا
سبيل لك إلا أن تحلم بها .

وتبدأ سيال في تصور القصاص الذي ستنزله بعشيقها . . إنها
تجهل أن نجاة هذا الراعي تتوقف على قسوتها . . وها هو آتيس وحيد
وسط عالم يرصد تحركاته . ويكاد لا يخشى تهديدات سيال . . فهذا
الكائن الذي ينتمي للصباح لا يمكن أن يدرك ويستوعب الليل .
وتلجأ سيال إلى جميع الوسائل الحسية للتخفيف دون أن تدرك أن
هذه الوسائل تصيح دون جدوى حين يتصل الأمر بقمع النيران
الملتهبة المتجددة للخطيئة . . إذ أن فكرة الخطيئة وقد فرغت من
معناها المقدس - تولد شيئاً فشيئاً في ذلك القلب الشاب لقد خلقت
سيال الوثنية فكرة الخطيئة بحبها المتصلب المتسلط . وهكذا يذوب
العشيقان آتيس وسنجاريس كل منهما في الآخر :

«مددت على جسديهما آلاف الأذرع الغاضبة
لكن اللجنة المريعة التي فر الجسدان إليها
هي اللذة التي جعلتهما لا يأبهان بالآلهة .»

إن ذلك الصمت الذي ترنحت فيه النفس وهي على وشك البكاء
يعتبر أقوى لحظات القصيدة . . بل إن مورياك توصل من خلال هذه
الآبيات إلى تلك الهالة التي كانت تحيط بآبيات راسين . وها هي قمة
العاناة وأوج العظمة تتمثل في الكلمات : «سيال يجب أن تغلقي
عينيك أو أن ترحلي . . لشد ما تتأملين !»

ويبدو الصمت هنا أقوى من أي صرخة تدوي . . . صمت لا يسمع فيه سوى دقات قلب . . إن موقف سيال يتسم بشيء من التناقص: ذلك أن تلك الآلهة مفرقة اللذات تستخدم الفسق لكي تعاقب الخطيء. ويستولي الألم على سيال فيجن جنونها فتحاول للمرة الأولى أن تحلل المتعة بل وتشعر ببعض السعادة لأن تجد حبيبها حزيناً.

وتلجأ سيال إلى حيلة جديدة فتجعل من المتعة الفاشلة حليفها. . كان حبيبها الشاب قد تخلص بالفعل من سنجاريس المسؤولة عن سعادته الغامرة. . وتخرج اللامبالاة من معركة الأحاسيس وقد أصبحت ملوثة ويستولي على آتيس نوع من الاضطراب بعد أن حقق ما يشتهي:

«ولكن تحت هذه الأهداب لا تزال تغفو المياه الغامضة ولا يزال نائماً سر من أسرار المكر والتعب والعاطفة»

ويبدو وكأن تلون البيت وحركته وإيقاعه في تلك اللحظة قد عانق التطورات الجسدية الحسية لذلك الشاب الفاتن. ويشتعل آتيس بكل نيرانه قبل أن يطرأ عليه التحول الجديد وهكذا فإن تلك الماسة التي تهددها ألسنة اللهب بأن تعيدها إلى أصلها الفحمي الشرير الكتيب يزداد لمعانها وبريقها. ويأتي انتقام سيال متأخراً ويعد أن استشاطت غضباً وثورة فتؤجل بعض الوقت موت حبيبها أي هذه السعادة التي يشعر الإنسان فيها بأنه وصل إلى مرتبة الآلهة وتحول هذا الحائن إلى شجرة الأرز «شجرة بشرية شابة تتغلغل جذورها الهادئة العذبة في تربتها».

«تميل إلى الجوهر الإلهي شجرة الأرز الشابة
تشير إلى السماء بأيديها الطويلة
وتبحث قمتها عن إله أما جذورها البطيئة
فتشق في جسدي المظلم طرقاً متشعبة»

وللمرة الأولى يظهر في القصيدة وجود أعلى يحدد بوضوح «الجوهر
الإلهي»، إله: هل تعبر سيال هنا عن اعتقادها بوجود إله ينكر
وجود جميع الآلهة؟ .. وهل قيلت أن تستدعي ذلك الإشعاع
السمائي الجبار لأنها اعتقدت أخيراً بأن آتيس لن يكون لها ؟

إن الأبيات التالية من القصيدة تؤكد هذا الغموض:

«كلما ارتفعت نحو السماء الصافية
التي تخفي حباً مجهولاً طاهراً للآلهة
كلما استمتعت بجبريمتها جذورك المتغلغلة
في ليل جسدي الذي أغلقته عليها»

إن ما وهبه آتيس لسيال كما رأينا هو الشعور بالزمن . . . ياله من
واقع مسموم! تلك هي الأشجار تتساقط كما يموت الإنسان واما
قريب لن تضم الأرض سوى القشور. وتحس سيال بشيء من
العذاب لهذه الفكرة ويساورها شعور مفاجيء بأنها تمنح حبيبها
- حين تشل حركته وترغمه على التأمل والتفكير- أسلحة الحب
جديد. لقد كانت الحورية سنجاريس عدوة لا يمكن مهاجتها.

ها هي سيال تحس نفسها قادرة على الوقوف في وجه الآلهة
الغاضبة في حين تعجز عن أن تقف في وجه تلك الشفقة وذلك

الحنان الدافق للذين لا تملك مفتاحها «وتلم شتات نفسها حول شجرة مية». . وتشعر بمقدم صقر لا تستطيع وسائل دفاعها التقليدية حياله شيئاً.

وهنا يحدث شيء غريب فإن أشجار الأرز يزداد عددها بصورة تدعو للدهشة. وتهذي سيال لقد تخلص آتيس من قشرته وتنظر حولها نظرات تائهة، حائرة. ولكنها كلما وجهت عينيها إلى مكان لم تر سوى آتيس جديد تجهله لكنه لا يزال ينكرها ويتجاهلها.

ويزداد غضب سيال ويجن جنونها فتحول كل قادم إليها إلى شجرة أرز. ولكن تلك «الغابة البشرية» ترفض الأوامر التي تفرضها عليها الطبيعة وتنتهز فرصة ذلك الهديان الذي استولى على ذاكرة سيال وشوشها فتستعيد أجسادها لكي تمتص لنفسها. . هي حرب كل الشباب مثل آتيس التي ستقف سيال عاجزة حيالها:

«أينبغي أن أشرب من النهر الأحمر الذي انساب من دمائكم أنا التي لم أشعر بالظمأ إلا لبرودة الأمطار ؟»

وهنا تأتي اللحظة الحاسمة التي اختارها الرب لكي يقتحم قلب الراعي وقلب القصيدة في الوقت نفسه. ويطراً تحول أخير على آتيس يجعل منه مسيحياً مؤمناً:

«لقد كان نفس الطفل، كان آتيس ثانياً
مختلفاً عن أشجار الأرز الساكنة في الأفق الصافي
كان هناك إله يعاني في قلب الكائن الفاني
في ذلك الجذع الذي خططته ظلال النبات

وكانت صلابة الأرض تخنقه
إله مغطى بالدماء، سيال ترهبه»

لقد سكن الرب آتيس وروحه .. فهو يحاول أن يرد على هزيمة
المتعة .. ويصبح ضعف الشباب المراهق قوة بين أيدي العناية
الإلهية ..

وترتاع سيال من الخلود الذي يقبع داخل هذه النفس والذي لن
يبهره شيء بعد اليوم،

وتسعى دون جدوى لكي تدفع به في دوامة هذه المتعة الدافئة التي
كانت قد أدانتها بها من قبل . ولكن عطر الحورية سنجاريس لم يعد
كافياً للتأثير على ذلك المسيحي المخلص:

«قالت سيال: لم أعد أجروء على الاقتراب من هذا الطفل
إنني أحب الأجساد لا النفوس الخالدة
وكانه المياه تحميه عناية الإله.»

حتى لو غطى العالم بأوراق الشجر والثمار فإن هذا الطفل لم يعد
يتأثر .. لقد صار ملكاً لسيد آخر، لمتع أكثر عذوبة وجمالاً، متع
تخصه هو .. وتبحث سيال في ذاكرتها عن آتيس الوثني الذي تندم
عليه ..

وترى مرة أخرى ذلك الطفل الذي يهذي وقد تملكه الغضب فبتر
عضوه الذكري «لكي يتوصل أخيراً إلى المعادلة المستحيلة»:

«جرت الفاجرات فوق آثاره القرمزية

بضحكات مجنونة ونداءات حادة
واقتربت أصفرهن بأسنانها
من العنقود البشري القائم الذي قطف من الكرمه
وأخيراً منحت تلك السكينة التي سيطرت على الطفل الروحي
بعض الأمل لسيال.

فالبشر النائمون في جوانبها لن يبعثوا وحدهم: هؤلاء الأموات،
رماد الآلهة الجسدية، سيحملون للخلود بعضاً من حياتها
الخاصة...

وهكذا تم التوفيق... بين الحب الدنيوي وحب الله:

«ان نصيبي من الخلود مع آتيس لا يزال
ولكي لا تموت، راحت الغانية سيال
تعانق جسديكما وقد واراها التراب
ياكل من أنتم آتيس أنتم ترابي
ترابي، وأنتم الذين ستبعثون»

وهكذا ينتهي ديوان «آتيس» قمة العمل الشعري عند مورياك
وقمة التعبير المباشر بالصورة الشعرية عند هذا الكاتب الكبير...

هذا لا يعني أن الشعر انتهى دوره في حياة مورياك لأن الشعر
سيظل يروي ويغذي كلمات مورياك حتى النهاية كما هو الحال في
«مذكراته الخاصة»... لكنه لن يكتب الشعر بعد ذلك اللهم إلا
تلك المحاولة الوحيدة لكتابة:

«أندي ميون»... وهي قصيدة لم تكتمل.

٤ - موريك عملاق القصة

هل نبالغ إذ نقول أن موريك كان عملاق القصة في القرن العشرين .

ربما رأى البعض في هذا الرأي تحيزاً أو مغالاة . لكن الواقع أن هذا الأديب الصادق ترك لنا ثروة قصصية فريدة وقيمة تعد دون شك أروع ما قدمه بل من أروع ما قدم في عصره .

ولكي ندرك قيمة أعمال موريك القصصية ونعطيها حق قدرها ينبغي ألا نغفل تلك الصلة الوثيقة بينها وبين حياته وشخصيته ونشأته . هذا لا يعني أن هذه الاعمال مجرد ترجمة لحياته أو أنها تسجيل لأحداثها ، لأن موريك لم يفكر مطلقاً في أن يقص علينا حياته من خلال قصصه . لكنها تتميز جميعاً بجو نفسي وإطار عام يعكس المؤثرات التي انطبعت في ذهن وقلب ذلك الانسان المخلص الذي ظل

ينتمي حتى آخر لحظة من حياته لبيئته وموطنه .

كما أن شخصياتها تكاد تكون جميعها مستوحاة من المحيطين به وخاصة من هؤلاء الذين أثروا في تكوينه وشاركوا في بلورة شخصيته . وإذا كان مورياك قد اعتقد دائماً أنه ولد شاعراً إلا أن الحقيقة أنه ولد قصاصاً كما برهن على ذلك تألقه في مجال القصة ، والجوائز العديدة التي حصل عليها وأرفع أنواع التقدير التي منحت له . وقد كتب مورياك عن تبلور موهبة القصة داخله :

«كان هناك الروائي الذي ولد لتوه يفتح عينيه على العالم الحزين» . . لقد ربط مورياك بين موهبة كتابة القصة وتذوق الأحزان التي يوج بها هذا العالم . ربما فسر لنا هذا لماذا كان مورياك ذلك الطفل المتخوف الذي يشعر - بمجرد ابتعاده عن أمه - بالتعاسة والكآبة . ذلك أنه كان يخشى عالم البشر، ذلك العالم الواسع ، عالم الاطفال الذين ملأت القسوة قلوبهم فراحوا يسخرون من زميلهم لمجرد إصابته في عينه .

تفجر الموهبة القصصية عند مورياك

مما لا شك فيه أن موهبة الكتابة تولد مع صاحبها . ذلك أن الطفل الذي سيصبح فيما بعد كاتباً مرموقاً لا بد وأن يحس منذ نعومة أظافره بميل للقراءة والإطلاع ثم للتعبير عن النفس . وقد ذكر مورياك في «مذكراته الخاصة» أنه لم يكن تلميذاً لامعاً وأنه كان يعشق الإطلاع ويعبر عن ذاته في موضوعات الإنشاء . بل إن قراءاته الأولى أنطبع في ذهنه وظلت تترك آثارها على مؤلفاته حتى آخر كتاباته . لكن مورياك

لم يكن يدرك بعد أنه سيصبح كاتباً يقرأ له الكثيرون في العالم أجمع .
 وحينما راح يودع فترة صباه ويطلق صيحته «وداعاً للمراهقة» حينئذ
 فقط عرف طريقه وأدرك موطن النبوغ فيه . فانطلق يتحرر من قيود
 الطفولة التي طالما كبّلته وقيدت موهبته وكان أول أعماله «الطفل المكبل
 بالقيود» - بمجرد عنوانه - تعبيراً عما يعتمل في نفس ذلك الشاب اليافع
 من طموح ورغبة في التحرر والإستقلال .

لكن مورياك لم ينجح أبداً في التخلص من طفولته وظلت ذكرياته
 تلاحقه وتنعكس على كتاباته ولا ينبغي أن نرى في ذلك تكييلاً
 لشخصيته وموهبته بل ربما كان له الفضل - كما سنرى فيما بعد - في
 إضفاء طابع مميز، صادق وأصيل على أعماله .

كان الطفل مورياك يصغي باهتمام الى أحاديث الكبار من حوله
 غير آبه بالأطفال يلعبون ويمرحون . كان يتأمل الوجوه التي انطبعت
 عليها مشاعر شتى من ألم غامض وحيرة بالغة ورغبات محمومة وقلق
 وضياح . كانت هذه الوجوه تنطبع في ذاكرته وتترك آثارها الدامية على
 نفسه المراهقة . كان الطفل الصغير يتصفح الوجوه فيستشف ما تخفيه
 من دهشة أو رعب دون أن يدرك له سبباً أو تفسيراً . كان مورياك يتمتع
 في الوقت نفسه بذكاء حاد وحساسية بالغة حتى أن والدته التي كانت
 تتمتع بشخصية قوية ومسيطرة كانت تعاتبه بقولها: «إنك ترى كل
 الناس أغبياء!»

كما كانت تشعر بالقلق تجاه ذلك الطفل الذي كان على حد قولها
 «قاتل اللاشيء» ولم ينس مورياك تلك العبارة بل إنه ردها في أكثر
 من مناسبة في قصصه . وقد أطلقت عليه والدته ذلك لأنه كان يرقب

كل ما يدور حوله فيصطدم بما يراه أو يسمعه ويردده دون أن يعي معناه. لم يكن هذا الطفل يغفل شيئاً مما يدور حوله.

ومن المؤكد أن هذا «اللاشيء» الذي إحتزنه مورياك في عقله الباطن وراح يردده هو الثروة التي أكسبته فيها بعد تلك المكانة المرموقة في عالم الادب. هكذا منح عالم الطفولة لمورياك عالماً يمجج بالافكار والاحاسيس والصراعات وتشع عليه شمس بورردو الساطعة وتظلمه كرمه مالاجار الشهيرة وتفوح منه رائحة البخور والصمغ؛

عالمًا لا ينحصر سوى مورياك كما أنه لا وجود لمورياك بدونه؛

عالمًا اجتماعياً تسيطر فيه المرأة وعالمًا نفسياً تتنازعه الصراعات ويواجه الانسان فيه أقسى التحديات وعالمًا روحياً ينتصر فيه الإيمان دائماً على الشهوات والانحرافات.

عالمًا فرنسيًا تماماً اللهم إلا إذا تخللته بعض سمات من إيطاليا، ذلك البلد الذي اعتاد البرجوازيون الأثرياء أن يمضوا فيه إجازة عرسهم.

عالمًا يوحى لنا بالتأمل ونتخيل مياه المحيط العريض الذي يقودنا الى الجزر البعيدة التي طالما استهوت فرنسيس جيمس من قبل. عالمًا تداعب فيه الرياح أشجار الصنوبر المرتفعة كما تداعب فيه آمال الأسفار والترحال عقول وقلوب الشخصيات.

وننتقل مع مورياك فيما بين الريف الفرنسي والعاصمة الصاخبة المتلاثة، إلا أننا لا نشك لحظة في وفاء مورياك لموطنه وببشته الاولى،

وفاء نابع من حب صادق وارتباط وثيق يصل الى حد العشق والهيام .
نعم، كان مورياك يهيم حباً ببوردو ومالاجار وكرمه الشهيرة وكل ما
يذكره بها . وقد ظل حتى النهاية - رغم النجاح والتألق الذي صادفه في
باريس - متميماً لبيئته الاولى . وكتب وهو في الأربعينات «لابروفانس»
أو «الريف» ذلك العمل الذي يجيب عن العديد من التساؤلات
ويخبرنا عن الكثير مما يتبادر على أذهاننا بشأن مورياك .

وربما استطعنا أن نقول أن عالم مورياك يتفرع الى فرعين كبيرين :
الريف ، وباريس . لكنها يلتقيان ويختلطان ويتآلفان كما اندجما من قبل
في قلب ونفس مورياك .

كانت هناك من جهة، تلك الاماكن الحبيبة التي كان يقضي فيها
ذلك الطفل المراهف إجازاته : وسط حقول الكرم أو الغابات أو بوردو
مدينة الأحجار، بأنهارها وأرصفتها وكل ما فيها ومن فيها . ومن جهة
أخرى كانت هناك باريس الصاخبة ؛ باريس فقط دون سواها كما لو
كانت فرنسا لا تشمل مدناً أخرى .

كان مورياك يتغافل ليون أو مرسيليا، كان بعيداً بروحه عن جبال
الألب مثلما كان بعيداً عن الصين أو اليابان . لم يكن مورياك يتحدث
سوى عن الأماكن التي ارتادها وعرفها وتفاعل معها . وقد احتلت محطة
أورساي مكانة متميزة في قلب مورياك لأنها كانت تمثل أول حلقة
اتصال بين أهل بوردو ومدينة باريس .

إن باريس في نظر مورياك محيطاً اجتماعياً أكثر منها مناظر طبيعية
يخترقها نهر السين الشهير . وقد أحس مورياك بتلك الغابات التي تحدها

كغابات بولونيا أو غابات فانسان الشهيرة، وتنسم الهواء العليل الذي نقته الخضرة وحملته النسيمات الرطبة واشتم رائحة النباتات الزكية التي يفضلها على أغلى أنواع العطور. كان مورياك يهيم حباً بالطبيعة كما خلقها الله وسواها سواء كانت هذه الطبيعة في مزارعه الحبيبة أو فيا حول المدينة التي عاش فيها معظم حياته.

اتهم البعض مورياك بأن عالمه محدود محصور لا يخرج عن إطاره المعروف ولا يخضع للتجديد أو التطوير. والواقع أن عالم الاديب لا يقاس باتساع رقعته وترامي أطرافه بل يقيم بعمق مداه وصدق تصويره ومدى أحساس الكاتب به وتفاعله معه. لم يكن إذاً من الممكن إن نتظر من مورياك أن يصف لنا الجموع العاملة النشيطة في العاصمة الصاخبة أو أن يصعد بنا داخل عربات المترو أو الأتوبيس أو أن يعكس الحركة الهائلة التي تموج بها المدينة في ساعات الصباح الباكر حين يذهب الجميع الى أعمالهم وعند حلول المساء حين يعودون الى منازلهم. ان شخصيات مورياك لا تستخدم المواصلات العادية باستثناء القطارات لكنها تجوب الشوارع سيراً على الأقدام في ليالي باريس. ان كل ما يعرفونه عن باريس أماكن السهر والملاهي الليلية أو لصالونات التي يرتادها علية القوم والادباء المشهورون.

إن أهل باريس - كما يصورهم مورياك - لا يعرفون الكد والعمل. فهم إما يتركون الدراسة أو يتاجرون في السيارات أو يستمتعون بأكل الكافيار واحتساء الشمبانيا. أما الحياة الحقيقية بكل ما فيها من مشقة وكفاح وآلام فهي تتمثل في الجانب الآخر. هناك في الريف حيث يمنحون الحياة ويهبون الرخاء لأهل المدن.

حقيقة أن الريف تعرض لتغييرات وتطورات واتخذ النظام الإقطاعي القديم مظاهر جديدة إلا أن تلك الثياب الجديدة تخفي بقايا الماضي العتيق حتى مطلع هذا القرن. تلك الفترة التي اقترنت بموريك واقترن بها. حتى أن معظم رواياته تدور خلال فترة الحرب العالمية الأولى رغم أنه لا توجد أية إشارة إلى الحرب إلا أننا نحس بوجودها بين ثنايا السطور. تلك الحرب لم تخلف وراءها في الريف الجنوبي سوى القتل أو المشوهين .

مجتمع موريك :

إن المجتمع الريفي الذي صوره موريك في قصصه يكاد ينقسم بصورة واضحة إلى طبقات محددة. تحتل القمة فيها كبار التجار والملاك وهم يشكلون نوعاً من النبلاء القرويين. يتبادلون العلاقات الطبيعية ويحرصون في أحيان كثيرة على تنويع أعمالهم وارتباطاتهم بالزواج - أي أن الزواج هنا ليس إلا عقداً أو صفقة رابحة لكلا الطرفين.

كما هو الحال في «مكمن الافاعي» حيث يتزوج المحامي المعروف من ذوي الاملاك إحدى النبيلات التي اعتبرت أنها نزلت من عليائها بقبولها هذا الزواج. ثم هناك الفلاحون والخدم الذين يشكلون طبقة قائمة بذاتها، وبلي هذه الطبقة هؤلاء الذين يلفظهم المجتمع سواء كانوا من الإقطاعيين السابقين أو من الوصوليين. وقد حظيت مكانة الفرد ووضعه الاجتماعي باهتمام موريك. فبدأ المجتمع - تحت قلمه - منقسماً إلى طبقات واضحة. ذلك أن الله قام بتوزيع الثروات وهكذا فإن الأغنياء لهم حقوق شبه مقدسة على الأراضي التي يمتلكونها. ذلك

أن الدين يمثل ميزة مزدوجة بالنسبة للطبقات السائدة: فهو يضمن الخلاص في العالم الآخر كما يضمن النظام في عالمنا هذا.

ولا ينبغي أن نغفل دور رجال الكنيسة (القساوسة) في أعمال موريك، ذلك الدور الذي أسيء فهمه في معظم الحالات. ومن العجب أنه أثار غضب الكنيسة من جهة، ومعارضيه من جهة أخرى. أما الاثرياء المميزون فمن بينهم بعض الذين يسيئون التفكير أو التصرف ويقحمون أنفسهم في السياسة ويحاولون مجارة الأحداث والأذواق - كما هو الحال بالنسبة لوالد تيريز ديسكيرو أو ابن جينيتريكس.

هكذا كان المجتمع الريفي يبدو كصخرة جامدة في حين ينساب كل شيء من حولها. أو ربما كان هذا هو الانطباع الذي تركه لنا موريك من خلال عالمه الخاص. وإذا كان موريك قد ترك لنا صورة للمجتمع الريفي في عصره فإنه لم يعتمد أن يترك لنا تسجيلاً للمجتمع الفرنسي في حقبة معينة. وإذا كان قد فعل، فإن ذلك جاء تلقائياً ربما دون أن يدرك أو يشعر.

روايات موريك في أربع مراحل:

توالت أعمال موريك الروائية على امتداد حياته الطويلة. وإذا كان هناك من السمات الأصلية التي تربط فيما بينها جميعاً إلا أنها تبدو لنا ونحن ننظر لها من بعد - وكأنها تمثل عدة مراحل.

تشمل أولى هذه المراحل:

«الطفل المكبل بالقيود» (١٩١٣) «ثوب النبلاء» (١٩١٤)

و«الجسد والدم» (١٩٢٠) «الأصول البالية» (١٩٢١).

وقد كتب مورياك عن هذه المرحلة الاولى من أعماله في مقدمة الجزء العاشر من أعماله الكاملة:

«ليس لدي فكرة عما يمكن أن يحسه القارئ اليوم إزاء أولى أعمالي إنني لا أعتبرها سوى وثائق خاصة بشبابي ومراهقي: تلك هي رؤي آنذاك عن العالم والله والناس. كم تبدو لي محدودة!...

إن جون بول («الطفل المكبل بالقيود») والذي ولد قبل أوجستان، يبدو لي أكثر أصالة، إذ أنني استوحيت من مذكراتي الخاصة لقد رسمت حياتي في خطوط تجريبية لكنني لم أكتشف بعد أسلوب الخاص، أو الجو العام المميز لأعمالي. ستكون جميع شخصيات رواياتي من الآن فصاعداً خاصة بي، ونابعة من الواقع الذي شاهدته، ومن داخلي أنا نفسي. لن أحاول أن أكرر صوري لأنني سأكون دائماً موجوداً داخل الشخصيات التي خرجت مني وهذا الوجود الذي ألام عليه سيكون علامة على أصالتها... باختصار هناك كوكب - يسمى كوكب مورياك..

حين أعيد قراءة «ثوب النبلاء»... تدفعني أخطاء كثيرة فيه لأن أعتبره عملاً كريهاً.

الطفل المكبل بالقيود:

جون بول تصوير لطفولة مورياك الحائرة الحزينة.. وهو مثله يكره الدراسة المنتظمة ويحاول نظم الشعر ويتعد كل البعد عن الحياة الصاخبة اللاهية ويفضل الوحدة والعجيب أن علاقته بوالدته تعد

صورة مسبقة لعلاقة ريمون كوراج بوالده في « صحراء الحب » التي سيكتبها مورياك بعد سنين عديدة . .

جون بول يعشق الاطلاع وطبيعي أن تكون قراءاته هي نفسها التي شغف بها مورياك في طفولته مثل « إنديانا » . .

كما أن الأدباء المفضلين لديه هم أنفسهم الذين استهووا مورياك من أمثال فيرلان ، وجيمس ، وأنا دي نواي ، وشاتو بريان ، وباراس .

وحين يحرك الإيمان شغاف قلبه ينتقل الى بوردو مدينته المحببة التي تمثل بالنسبة اليه بر الأمان . حتى الأفكار التي تراوده كانت تدور في مخيلة مورياك . فلنستمع اليه وهو يحدث نفسه في الفصل الثامن عشر : « لقد كنت - حتى يومنا هذا - صانع آلامي . . فمئذ سن الخامسة عشرة لم تكن الحياة بالنسبة لي سوى معركة دامية ضد العزلة - معركة كنت أخرج منها مقهوراً » .

لا تعتمد هذه القصة على الأحداث بالمعنى المفهوم بل هي نوع من التحليل النفسي لشخصية بطلها الشاب المراهق الذي يمثل الى حد كبير - حياة المؤلف وحيرته وآلامه . حتى قصة الحب التي تربطه منذ الطفولة بجارته مارت تتطور وتبلور وفقاً لتطور شخصيتها وتبلورها . . وذلك التنظيم الديني الذي يرتبط به بطل القصة لفترة : « الحب والإيمان » ليس إلا صورة لصحيفة « السيون » التي ارتبط بها مورياك في مستهل حياته وقد استوحى مورياك اسم بطله ولقبه من إسم والده كما استوحى صورة الضيعة من تلك التي كان يقضي بها إجازاته في سان سامفوريان .

ثوب النبلاء :

تدور أحداث هذه القصة في ضيعة أوزيلان على مشارف بوردو التي تمثل دون شك قصر لونج الذي كان ملكاً لجدة مورياك من أمه والذي كان يتردد عليه كثيراً في صغره أما منزل بوردو فهو صورة للمنزل الواقع في شارع دوفور دوبرجيه حيث عاش مورياك من سن الثانية حتى التاسعة . . حتى الشخصيات استقاها من الواقع او بمعنى أصح من واقع طفولته . جاك / بطل القصة / فقد أمه في سن مبكرة . وربما لا يتذكر ملامحها بالتحديد .

وقد ارتبط عاطفياً بكاميل تلك الفتاة الشابة التي تفقد فجأة سحرها حين تكتسب صفات المرأة المتسلطة التي تسيطر عليها الأفكار المادية وتفقد كل احساس بالشعر والأحلام .

ويحس جاك بوحدة قاتلة فهو لا يستطيع أن يدرك كاميل الجديدة أو يقترب منها ؛ خاصة وهو يشعر بالغيرة من فيليب الذي استطاع أن يجذب أنظارها . وبالإضافة الى ذلك توفيت جدته ويبيع الضيعة ومات صديقه .

ويحاول جاك الفرار لكنه لا يجد غايته المنشودة في باريس فيعود ثانية الى بلده ، آملاً أن يحقق السعادة الهادئة الى جوار كاميل .

من السهل أن نجد في هذه القصة مثل سابقتها تصويراً لحياة الكاتب وذكرياته الخاصة .

الجسد والدم :

بدأ مورياك كتابة هذه القصة عام ١٩١٤ . لكن الحرب العالمية

الأولى أجلت ظهورها بعض الوقت فلم ينته منها إلا في بداية عام ١٩١٩ .

وقد حاول موريك في هذه القصة أن يوسع مجاله الروائي الذي ظل محدوداً في أولى قصتيه . . فراح يعرض ملاحظاته ومشاهداته الخاصة بالمجتمع الصاخب والصالونات الأدبية في باريس أو في بوردو . . لكنه لا زال يبحث عن النعمة التي تلائمه .

وقد استوحى موريك قصته من حادث انتحار شارل دومونج ابن اخت باراس عام ١٩٠٩ « بسبب امرأة » وكان هذا الشاب تماماً مثل ادوارد بطل القصة / قد أطلق الرصاص على رأسه ليلاً في غرفته بأحد الفنادق ومات بعد مرور عدة ساعات .

وكان تأثير هذا الحادث عظيماً على نفس موريك المرفهة : « لقد حكم شارل دومونج على نفسه بالموت في اليوم الذي كتب فيه أن الرغبة فقط تضم الحياة وتساندها . . . إن اللذة تمد الحياة والقلب بصوة قاسية . . » مذكرات رجل في الثلاثين من عمره « ١٨ يوليو (١٩١٧) . . .

تمثل القصة صراعاً بين شخصيتين كلود وادوارد :

الأول : يجتذبه الجسد والدم ويحاول أن يجد مخرجاً من الرغبات التي لا تنتهي

والثاني : يقضي حياته حالماً وبهرة الموت فينتهي بالانتحار .

تدور القصة في نفس الإطار المألوف وسط الحقول وسان سامفوريان حيث تتفاعل الطبيعة مع أحاسيس وعواطف

الشخصيات . . ادوارد يقع تحت تأثير ضيعة « لو لور » الساحرة التي تشبه مالا جارا ويحلم بهذا المكان وكأنه لم يقض به بضعة أسابيع فقط بل معظم شبابه .

ادوارد تأثر بتجربته في المدرسة الإكليريكية رغم أن طبيعته حسية للغاية فظهر التناقض داخله بين الحياة الروحية والحياة الحسية .

هناك شخصية ثالثة تربط بينها هي مَيّ . ادوارد ينهي علاقته بكلود وبمَيّ التي تقطع هي الأخرى علاقتها بكلود .

إلا أن كلود لا يستطيع أن ينسى تلك الإنسانية التي بادها أول قبلة . . لكن ادوارد / في حين يهيء العلاقات بين الحبيبين / يتخلل عنها في الوقت الذي يحسان بحاجتهما إليه .

بيد أنه لا يستطيع أن يستمر في تلك الحياة التي أصبحت بالنسبة إليه بلا معنى أو هدف فيختار لنفسه نفس النهاية الأليمة التي اختارها لنفسه شارل دومونج .

الأصول البالية :

يبدو أن موريك أراد في بادئ الأمر أن يقدم نقداً ساخراً للبرجوازية في بوردو وينبغي ألا نرى هنا رغبة في الإنتقام من هذا المجتمع فقد أكد موريك في « مذكراته الخاصة الجديدة » : « لقد كنت سعيداً ومحبوياً في جراندي لوبران » .

تتحدد خطوط القصة ويرسم تطورها من خلال التناقضات والصراعات بين ثلاث شخصيات رئيسية : الراوي ، وشقيقته

فلورانس ، وأوجستان الذي يهيم حياً بها. . منذ البداية ، يبدو واضحاً أن الراوي تتنازعه جاذبية الحياة الصاخبة من جهة ، والرغبة في التحرر منها من جهة أخرى . . أما أوجستان فيختفي . وتعتقد فلورانس أنها انتصرت حين تزوجت شخصاً آخر ! لكن هذا الانتصار يبدو دون مغزى لأن العالم لم يعد له أية أهمية في نظرها بعد أن فقدت أوجستان . إن الشيء الوحيد الذي يمكن أن يدخل على قلبها الطمأنينة والسعادة هو عودة الحبيب الغائب . ويحاول الراوي أن يتفادى الفضيحة فيأتي بشخص آخر يقدمه على أنه أوجستان . إلا أن الخطة تفشل لأن أوجستان الحقيقي يعود . والعجيب أن فلورانس تفضل الاعتقاد أن أوجستان المزيف هو حبيبها لأنه أقرب للصورة التي رسمتها له في خيالها ويسيطر عليها نوع من الجنون .

أما أوجستان الحقيقي فيختفي مرة ثانية حين يعجز عن أن يجد في تلك المرأة فتاة أحلامه وآماله .



نشأت فكرة هذه القصص من الشعور بالحاجة الى الحماية والحب اللذين يوفرهما العالم أحياناً ، والضيق الذي يحس به الإنسان الذي تبهره الحياة الدنيوية وتستهويه .

ويلاحظ أن هناك طابعاً مشتركاً فيما بينها جميعاً حيث أن المؤلف الشاب يبحث من خلالها عن ذاته . . ومن جهة أخرى ، فإن تأثير التيارات الأدبية المختلفة يبدو واضحاً عليها .

ظل مورياك يحاول أن يجد نفسه وأن يضع يده على موطن العبقريّة

والموهبة فيه . والواقع أنه نجح في ذلك دون أن يدري أو يتأكد.. إن الأفكار الرئيسية والموضوعات التي تدور حولها قصصه والجو العام الذي يسيطر عليها لن يطرأ عليها تغيير ملحوظ . وربما كانت إحدى السمات الأساسية لدى مورياك ذلك التشابه الواضح في الإطار العام وفي الجو النفسي بين أولى أعماله وآخرها . فهناك مزارع الكرم ، وغابات الصنوبر ، وبوردو الحبيبة ، وباريس الصاخبة ، وأيام الصيف الملتهبة في الجنوب الغربي حيث ينتظرون الأعاصير كما ينتظرون الخلاص والتحرر ؛ وهناك أيضاً ذلك الصراع الأبدي بين الحياة الجسدية والحياة الروحية . . بل إن هناك أيضاً تلك الرغبة الحسية التي لا يستسلم لها مورياك دون معاناة .

لكن هذا الجو المتميز كان يغلب عليه تأثير الأدباء الآخرين وأهمهم رامبو . « ليست هناك شخصية واحدة مخترعة في « قبلة الأجذم » اكتفيت فقط باختراع مصائر الشخصيات . يمكنني أن أضع اسماً تحت كل « بلوير » لقد عرفتهم جميعاً في منزل فيلو نودرو العتيق » . (مقدمة الجزء العاشر من الأعمال الكاملة لمورياك) . كما نلاحظ أن الحرب العالمية تظهر بين السطور دون أن تتخذ صورة صريحة واضحة .

ويسجل عام ١٩٢٢ مولد أحد أعظم الروائيين الفرنسيين على الإطلاق . ذلك أن مورياك - رغم الأعمال التي تبشر بالإبداع قبل هذا التاريخ - قد ولد فنياً بحق مع ظهور قبلة الأجذم ؛ ذلك العمل الرائد الذي تحرر فيه مورياك للمرة الأولى بكل تمكن واقتدار من حنين المراهقة ومخاوفها . وقد كتب مورياك نفسه عام ١٩٥٠ في

مقدمة اعماله الكاملة : « جاء التغير في النعمة مصاحباً » لقبلة الأجدم» بحيث يبدو للقارئ - على الأقل على الصعيد الأدبي - أن المراهق الضعيف قد مات تماماً داخلي منذ سنة ١٩٢٢ . .

جميع القصص التالية ستكون مريرة وجافة. وإذا ما استثنينا لفرفروتوناك فإنها لن تشير إلى أي نوع من التعاطف مع تلك الطفولة الرخوة المتحفظة أكثر مما ينبغي .

إن « قبلة الأجدم» تحدد تلك اللحظة من حياتي الأدبية التي وجدت فيها أسلوب وقرائي . . لا زلت أذكر تلك النشوة العابرة التي كانت تملكني كلما توالت المقاطع وتلك السعادة التي سببها لي الشعور بالوصول الى البحر العالي بطياته وأمواجه المرتفعة . « وإننا لتعجب أن تأتي اللحظة الفاصلة في الحياة الأدبية لكاتب ، يمثل هذا الوضوح واللمعان .

قبلة الأجدم :

يبدو التمكن واضحاً منذ الكلمات الأولى في رائعة الأديب الكبير. . . يبدو التناقض واضحاً بين حرارة الصيف في الجنوب الفرنسي والشخصية التعتة التي يشبهها أحياناً بصرصور الليل . . أخيراً تحرر موريك من إطار الذكريات الشخصية التي يجد الكاتب صعوبة كبيرة في التخلص منها . وهذا يعني أنه لم يلتق بجون بلوير أو بمعنى أدق بنموذج جون بلوير . فهو يمثل بقايا البرجوازية التي التقى بها موريك بشحمها ولحمها . ثم هناك بلد بأسرها ومجتمع بأكمله خلف تلك الشخصية التي يمكن أن نقول أنها حقيقية أكثر منها طبيعية . .

عالم بأسره يستيقظ مع جون بلوير . عالم تحكمه القوانين السياسية الصارمة وتربط بين عائلاته روابط هي أبعد ما تكون عن الحب . جون بلوير هو الوريث الوحيد لثروة هائلة من الأراضي الشاسعة . وإذا لم يتزوج ، فإن هذه الضيعة ستؤول الى عائلة دو كازناف التي لا تؤمن بالكنيسة . لذا فإن قس القرية يعتبر أن واجبه الأسمى هو منع وقوع هذه الكارثة بأي ثمن . لا مجال إذا لنوعي دارتيلا - الفتاة التي وقع عليها الاختيار ، تلك الشابة الجميلة التي تنتمي لأصل طيب ، لكنها فقيرة - أن تتهرب من أداء واجبها . « إن بلوير لا يرفض » . لقد أعمت الثروة الطائلة - التي هبطت من السماء - تلك العائلة المتواضعة . فراحت تقرر للفتاة المسكينة مصيرها بدلاً منها . فاما جون بلوير ، ذلك الأجدم الذي لا يجد من يحبه ، فقد بهر به جمال الفتاة التي لم يكن يحلم بالارتباط بها ، مثلما بهرت تلك الثروة أهلها .

وتبدو المأساة محتمة . مأساة عميقة وخفية . جون بلوير يموت بسبب هذا الحب المستحيل . يمضي شهيد الهوى بمحض ارادته .

اما العروس الشابة فتتمسك بأهداب الفضيلة وترفض الوقوع في شبك الخطيئة التي أعدها لها طبيب شاب ، وتقضي حياتها بجوار والد زوجها العجوز الذي يرفض أن يموت .

لقد وجد موريك ذاته فقدّم هذا العمل الصغير في حجمه ، الضخم في مادته ، والعميق في مضمونه . واقترب خطوة إن لم يكن خطوات من التراجيديا الكلاسيكية الخالدة .

سار على درب راسين فأبدع بعضاً من إبداعه ولوح بنبرة من اعجازه .

٢ - جينيتريكس :

« إن أحداً من شخصيات جينيتريكس لا يتتمي مباشرة الى عائلتي . لقد أدخلت في منزل أجدادي تلك الأم المفترسة وذلك الإبن الخاضع وتلك المرأة المغتالة . لكنني عرفت الإبن فكان من اليسير على أن أكتشف ملامح الجينيتريكس المتسلطة . »

تدور أحداث هذه القصة في لوندجون التي تقع في الجنوب الفرنسي فيما بين بوردو ومارسيليا ، على صدى صوت القطارات الذاهبة والآتية ، داخل المنزل الكبير الذي يطل على خط السكك الحديدية ويسكنه فرناند كازناف .

يعيش فرناند في هذا المنزل الكبير مع أمه مدام دو كازناف شقيقة جيروم بلوير . لقد اعتاد قراء مورياك على مثل هذه العلاقات الوراثية التي تربط شخصياته كما تربط في الواقع معظم سكان المدن الصغيرة والقرى ، وكأنها شبكة مترامية الأطراف تعود دائماً فتشباك . تبدو الشخصية الرئيسية هنا شخصية الأم . فهي محور المأساة ومنطلق الأحداث وجوهر العواطف المختلفة بل والمتناقضة . . إنها إحدى النساء الكثيرات في أعمال مورياك اللاتي تتمتعن بشخصية قوية ومؤثرة تعد انعكاساً لأقوى شخصيتين أثرتا في نفسية مورياك الصغير . والدته وجدته . لكن جينيتريكس أو مدام دو كازناف هي أقوى بل وأفظع الأمهات التي نلتقي بهن في أعمال مورياك على الإطلاق . تزلت وهي شابة ، ولم يعد لديها سوى إبنها تحبه وتعلق به بل وتدمره . إنها تثبت بحق أن هناك « من الحب ما قتل » .

إن هذه الشخصية تجسد فكرة مورياك عن كل ما هو قوي وعنيف ومتسلط في الطبيعة النسائية .

إن فيليسيقي دوكانزاف / تلك الأم المدمرة التي ينطبق عليها تماماً وصف جينيتريكس / من أبرز وأوضح وأصدق وأعمق الشخصيات التي رسمها مورياك فراح القارئ يتخيلها ويمقتها ويرهبها .

ربما لا نجد في هذه القصة أحداثاً بالمعنى المفهوم فهي تعتمد أكثر ما تعتمد على الأبعاد النفسية للشخصيات وعلاقة كل منها بالآخرى . . وتلجأ الى طريقة « الفلاش باك » أو العودة الى الوراء . . فنعلم أن فرناند دوكانزاف علق في برائن أمه حتى سن متأخرة . لم يكن يستطيع أن يتزوج لأنها كانت تلاحقه وتخنقه . كانت تتجس عليه وترقب خطواته .

وكان يفر منها كل فترة بانتظام ليلتقي بامرأة لا نعلم عنها شيئاً لكنها لا تثير الغيرة او القلق في نفس الأم لأنها واثقة أنه لن يتزوجها .

ويلتقي ذلك الرجل / في الأربعينات من عمره / صدفة بفتاة شابة من أسرة متواضعة تعمل معلمة ويرتبط بها ويتزوجها . وهنا تتفجر المأساة بعد أن ظلت كامنة طيلة سنين عمره . تستشيط الأم حقداً وغيره فتفتن في تعذيب زوجة ابنها التي اعتلت العرش في قلب الابن . . ولا يملك الابن شيئاً ازاء تلك الشخصية الجبارة التي أحالت حياته جحيماً من فرط حبها له وتعلقها به . وتبلغ القسوة بالأم الى الحد الذي يجعلها تترك زوجة ابنها المريضة تموت دون أن تسعفها ظناً منها أنها بهذا تقتل الحب داخل قلب ابنها وتستعيد سلطتها . لكن ماتيلد

رغم موتها تظل حية في قلب زوجها الذي يدرك مدى القهر الذي فرضته عليه أمه . وطبيعي أن تتغير العلاقات فيما بينها بعد أن تغيرت المشاعر والأحاسيس . وحينما تموت الام يقف الابن متطلعاً الى حيث يرقد جثمانها : « لقد ماتت في نهاية الشتاء . . ويحكى أهالي لונجون أنهم اضطروا للتشبث بفرناند كازناف الذي كان ينحني - متطلعاً الى الحفرة - كما لو كان يريد أن يلقي بنفسه فيها . . لم يستطع أحد أن يدرك أنه كان يسعى فقط الى تمييز الصندوق الذي أصبحت ماتيلد داخله رماداً وتراباً بين كل تلك الأشكال القابعة في الظلام . »

كما رأينا ، فلإن هناك تشابهاً بين « قبله الأجلد » و « جينيتريكس » . فالعقدة في كل منهما ذات طبيعة نفسية والشخصية الرئيسية في كل منهما الضحية لكنها أيضاً الجلال . فجون بلوير ضحية مرضه والتقاليد المتحكمة فيه لكنه من جهة أخرى سبب في تعاسة نومي ، الشابة الجميلة ، اما فرناند دو كازناف فهو ضحية سيطرة والدته التي تمثل أيضاً قسوة المجتمع والتقاليد لكنه أيضاً هو السبب الرئيسي في تعاسة ماتيلد المسكينة والقضاء عليها . وبالإضافة الى ذلك ، فإن نسمة الصيف الساخنة التي تهب على القصتين تضفي جواً خائفاً يؤثر في نفسية الشخصيات كما يؤثر على أجسادها .

إن فصول السنة عند موريك لها دلالتها فهي ليست مجرد اطار أو تحديد للزمان بل إنها تتفاعل مع الشخصيات وتعكس الأحاسيس التي تعتمل في نفوسها . . . انها روح وحياة وتبادل وإيجاء .

من الطبيعي أن يلجأ موريك بعد هذين العاملين الى التغيير فراراً من ذلك الجو الخائف الذي سادهما .

وقد ظهرت « نهر النار » تقريباً في نفس الوقت الذي ظهرت فيه « جينيتريكس » وتكاد تكون - بفكرتها وموضوعها - امتداداً لأولى أعماله لكنه امتداد أكثر نضجاً ووضوحاً . نبتعد عن بوردو وباريس وأشجار الصنوبر ومزارع الكرم ونقترب من إحدى فنادق أرجولاس والجبال المحيطة بها .

وربما كان هذا هو السبب الرئيسي الذي حال دون اعتلاء هذه القصة عرش مورياك كما فعلت زميلتاها السابقتان أو كما ستفله « صحراء الحب » مثلاً . . . ذلك أن جذورها ليست متأصلة في التربة « المورياكية » - إذا صح التعبير - تلك التربة التي استقى منها مورياك قوته الإيجابية وإطاره المنفرد . . . لكننا نستطيع مع هذا أن نقول أن هناك تلميحات عابرة تشير الى الارتباط بالبيئة الريفية :

« وقد كان القدماء يتذكرون أن العجوز دولاساسك ، جد مسيو ترازيس من ناحية الأم . . . الذي كان يسكن كأحد الفلاحين قصر دولاساسك خارج السوترن . . . قد شق نفسه داخل المخزن ، بين الأدراج المغلقة بالقفل حيث الزجاجات المظلمة . . » .

إن هذه العبارة تظهر الارتباط الوثيق بين جميع قصص مورياك وتبرهن على أن « نهر النار » مهما ابتعدت عن خط مورياك لكنها تندرج في قائمة الأعمال المورياكية .

ذلك أن العواطف الجياشة التي تكتسح النفس وتعصف بها تنطلق دائماً من أعماق التربة الأصيلة سواء كانت يأساً غامضاً يدفع دولاساسك العجوز الى الانتحار أو كانت ملاحظة محموعة يشنها دانيال

ترازيس على فرائسه كما يلاحق الصياد فريسته . بل إن مورياك كان يشبه عتق بطلاته الشبابات بعنق الحمام إلا أن الحمام لا تتعرض إلا للصيد في حين تحترق النساء / تماماً مثل الرجال / في نهر النار . ولا يزال مورياك يعتقد حتى وفاته - مثل جميع المسيحيين المتمسكين - أن ذوبان الجسدين في متعة الحس هو الشر ذاته . . وهذا هو عنوان قصة مورياك التالية « الشر » .

الشر :

تدور أحداث هذه القصة فيما بين الكريف وباريس . . الريف يمثل فترة الطفولة والنقاء في حين تمثل باريس مرحلة الضياع والقلق والفساد . . لكن البطل لا بد وأن يعود الى منبعه ليبراً من خطاياهم ويتطهر من ذنوبه .

فابيان شاب نشأ في عائلة تقية تنتظم حياتها على اصوات اجراس الكنيسة . الأم أرملة شابة تجسد صورة الأم كما انطبعت في ذهن الطفل مورياك ، وهبت حياتها لتربية طفليها وحاولت منذ طفولتهما غرس القيم والمبادئ الروحية في قلوبهما . لكن استجابة احدهما جوزيف تأتي تلقائية سهلة . أما الآخر فابيان فيجد صعوبة في انتهاج الطريق السوي . لكن هذه الأم ترتكب خطأ كبيراً فهي تستضيف في بيتها فاني باريت / تلك المرأة المطلقة المتحررة / التي تربطها بالعائلة صلات وثيقة منذ زمن بعيد . . فيتعلق الولدان بتلك السيدة ويتظران الأعياد والمناسبات لكي يتمتعوا برؤيتها وهداياها . ولا تدرك الأم / بنقاء احساسها وتلقائية سلوكها / إلا مؤخراً ذلك الشعور الذي بدأ يربط بين ابنها الصغير فابيان وتلك المرأة التي تكبره بعدة أعوام ويسافر

فابيان في حين يمرض أخوه ويموت وسط دموع الأم البائسة . وتصل فاني لتقدم عزائها وتعترف لمدام ديزيمريه : « ما الذي ستظنينه حين اعترف لك أنني تزوجت رجلاً آخر ؟ هل من الشر أن نبحت عن السعادة ؟ » لكن مدام ديزيمريه تطلب منها الإبتعاد عن حياتهم . . ولم تكن الأم تتصور مدى الألم الذي سيعانيه ابنها : « تلك الحياة الجسدية يا لها من حياة أليمة وقذرة ! أود لو صرخت بذلك في اذن طفلي الذي لم ينخفضها بعد . . » . وتبحث الأم عن طريقة تخلص ابنها مما يعانيه وتدعوه للسفر الى ايطاليا . . وهناك يلتقي صدفة بفاني لبيدآن علاقة طويلة آتمة ، تستأنف في باريس فيستغرق فيها الشاب ولا يستمع سوى لصوت الجسد . علاقة تدفعه لترك دراسته وإهمال تعليمه . لكنه ما يلبث أن يفيق على صوت الحب يناديه . . إلا أنه حب يائس لم تكتب له نهاية سعيدة . ويعود الإبن الى أحضان أمه منهكاً جريح النفس والقلب .

إن هذه القصة تعكس تأثير طفولة موريالك على كتاباته فالشخصيات مستوحاة ممن عرفهم وتأثر بهم : الأم والأخ والقس . كما أن الأحاسيس نفسها تكاد تكون امتداداً لأحاسيسه الحقيقية : السأم من الدراسة والصراع بين الحياة الدينية والدنيوية . . الخ . . ومن جهة أخرى ، نجد أن كل ما هو نقي وطاهر يرتبط بالريف في حين ترتبط المدينة بكل ما هو ملوث وآثم

إن حياة أسرة فاني وزوجها وأصدقائه وسهراته تمثل صورة مصغرة للفسق والفساد وانعدام الأخلاق في المدينة .
اما بالنسبة للإطار العام فهو لا شك اطار مألوف تتخلله أصوات

القطارات وترتفع فيه أشجار الصنوبر وتتصاعد فيه رائحة البخور
وتخيم عليه حرارة الصيف الخائقة . . كما تتردد في هذه القصة اسماء
لأعمال كثيرة لموريك : « مالتافارن » - و « الذي كان ضائعاً » .

يركز موريك في قصته على فكرة رئيسية متأصلة فيه هي : الشاب
المراهق الذي تلقى تربية دينية متشددة في مواجهة الرغبة والجسد .

بداية مرحلة جديدة : صحراء الحب :

ونصل الى قمة الإبداع الواقعي مع « صحراء الحب » التي ظهرت
في نفس السنة مع « الشر » .

صراع الإنسان مع نفسه وضميره ، صراع الفكر والعاطفة ،
وصراع الإنسان مع الآخرين ، مع أقرب الناس اليه . وصراع
الإنسان مع التقاليد والقيم التي اكتسبت قوة مطلقة ، وصراع الأجيال
المختلفة . . صراع متنوع متعدد من منطلق قصة اقل ما يقال عنها أنها
انسانية وعالمية . ونحن لا نتعجب اذا كان موريك نال عنها جائزة نوبل
في الأدب فهي نموذج يحتذى في هذا المضمار .

يعبر عنوان القصة بحق عن محتواها : عاطفة الحب التي تعزل
العاشق عن كل ما حوله ومن حوله بما فيهم الشخص المحبوب ، فيجد
نفسه في عالم معزول مجذب ؛ صحراء شاسعة لكن الحب موجود .

تدور القصة حول طبيب ناجح في حياته العملية يعيش مع زوجته
حياة زوجية رتيبة ، ولا يربطه بآبائه أو بآبنته نوع من التفاهم أو التبادل
الفكري . يتعرف الطبيب بماريا كروس وهي سيدة سيئة السمعة على
قدر كبير من الجمال ، تزوجت من رجل ثري كان متزوجاً باخري

وزرقت بطفل وعاشت منبوذة من أهل البلدة جميعاً . ويأتي التعارف في ظروف حساسة للغاية تبعث الشفقة في قلب د. كوراج . ذلك أنه يذهب لعلاج طفلها لكن الطفل يموت . ويحس الطبيب بمدى الحسرة التي تعتصر قلب الأم ومدى التمزق الذي تعاني منه . وهكذا يعرف الحب لأول مرة في حياته بعد أن مضى قطار العمر .

وفي نفس الوقت الذي يتعلق الطبيب بالمرأة الفاتنة، تلتقي هي في القطار بابنه الشاب : ويتعلق كل منهما بالآخر فتبتعد شيئاً فشيئاً عن الرجل الذي هام بها حباً وتعلق بها تعلقاً شديداً وأوقف سعادته وحياته عليها . ولكنها تعود فتكتشف الهوة السحيقة التي تفصل بينها وبين ابنه ريمون .

ويأتي هذا الاكتشاف متأخراً ، يأتي ليحطم حياة شاب منطوي عاش متقوقعاً على نفسه بعيداً عن اللهو والمرح والأحلام التي تداعب الشباب في سنه .

هكذا تحطم تلك المرأة حياة كل من الأب والإبن . خاصة حين يعلم الأخير بالحقيقة . ويعيش الثلاثة بعد أن فشلوا في تجربة الحب في صحراء قاحلة لا تروىها إلا دموع الذكريات الأليمة .

تعتمد هذه القصة أيضاً على أسلوب الفلاش باك . . فهي تبدأ في إحدى الحانات حيث يلتقي ريمون صدفة بماريا كروس / تلك المرأة التي ظل اعواماً طويلة يحلم بالانتقام منها / ويستعرض شريط الذكريات الطويلة .

يجسد مورياك من خلاله شخصيات تعاني من الحرمان حتى وهي

تحب أو تجد من يجيها . . وينجح في التغلغل في اعماق النفس البشرية محلاً أدق الأحاسيس والمشاعر . وإذا كان مورياك يعتمد أكثر ما يعتمد على أسلوبه الذي يتميز بالبساطة والوضوح رغم روعته وتألقه وعلى انتمائه لبيئة صورها بكل صدق واحساس ، فإن هذه القصة تبرز براعته في مجال التحليل النفسي والعاطفي .

كتب مورياك في مقدمة الجزء الثاني من اعماله الكاملة :

. . إن قصة « صحراء الحب » من بين جميع قصصي هي التي يصعب أن اقيمها وكأنها لكاتب آخر . وذلك لأسباب كثيرة هي أبعد ما تكون عن الأدب . . ولا ترجع هذه المكانة المتميزة بالطبع لجائزة القصة الكبرى التي منحتها لي الأكاديمية الفرنسية . إني لا أستطيع قراءة هذه القصة دون أن أتذكر الناقلين الكبارين شارل دوبوس وجاك ريفير حيث ذكر الثاني : « إنك أنت تماماً هذه المرة . . إنها قصة ، قصة حقيقية . . الواقع أن العمل يتخلص تماماً منك ليحيا حياته الخاصة » . . .

ويستأنف مورياك حديثه عن شخصياته قائلاً : « لقد أعددت من خلال شخصية د. كوراج وصفاً مسبقاً لبشاعة الشيوخوخة والحب .

إن الشيوخوخة في جميع الأعمار في عائلة كوراج . فشيوخوخة الأب ليست أظلم من شيوخوخة الابن الشاب ريمون . أما شخصية ماريا كروس / عشيقه الأب والابن / فتبدو وكأنها تصور مبدئي للشخصية التي كانت داخلي والتي ستصبح تيريز ديسكيرو . » .

ويواصل مورياك تألقه مع « تيريز ديسكيرو » . . ان تيريز التي

أعطت اسمها عنواناً للقصة تمثل المرأة الثائرة . . تمردت على حياتها ، على مجتمعا . . بل وعلى نفسها طرحت للمناقشة منذ البداية جميع قيم المجتمع البرجوازي الذي ينتمي اليه موريك ويقوم بتصويره . ثور تيريز وتكتسب ثورتها مزيداً من القوة والإنفعال لكونها امرأة . . فهي بحكم انتمائها للجنس اللطيف تحس بعبوديتها وبضرورة التحرر وتحطيم القيود التي تكبلها وهكذا تكتسب الشخصية أبعاداً نفسية ، وثقافية ، وتربوية لم تكن لتوفر لها لو كانت من الجنس الآخر . تتمتع تيريز بفكر حر ، لذا جعلها موريك ابنة لرجل أرمل ، يمارس السياسة ويبدو مناهضاً للكنيسة ، ولم يجعل منها تلميذة في إحدى مدارس الراهبات .

وعلى أي حال ، فإن معلوماتها عن الحب لا تزيد عن أي تلميذة تلقت تعليمها في المدارس المسيحية . . حتى أنها استسلمت للزواج من برنارد ديسكيرو بدون حب لمجرد أن أراضيهما متجاورة وتشكل ضيعة هائلة مترامية الأطراف . لن تعرف تيريز الحب إلا عن طريق صديققتها آن دولا تراف تلميذة القلب المقدس التي ستكشف لها عن حقيقة الحب ومتعته . تلك الحقيقة التي ظلت تلك الشابة المثقفة حتى هذا الحين تجهل كل شيء عنها . فهي لا تمت بصلة لتلك العلاقة التي تربطها بزوجها .

وتحس المرأة المتفتحة أنها حبيسة تود لو تحطم سجنها ، لو تنطلق بعيداً كطائر يفر من المصيدة . . . لكن ليس هناك سوى القتل ليخلصها . وربما تعجب البعض من هذا الحل الذي توصلت إليه وتساءلوا اليس هناك سوى الجريمة لتخلصها . . الواقع أننا لو

استعرضنا تكوينها النفسي وظروفها الاجتماعية وبيئتها التي تنتمي إليها لما تعجبنا من تلك الافكار التي راودتها . فهي لا تستطيع الطلاق لأن الضغوط الأسرية والاجتماعية / في مدينة مثل ارجولوز تكتنفها غابات الصنوبر وأشجار الزان التي تعدت المائة عام وتعيش منحصرة على نفسها / محكومة بتقاليد عتيقة تمنعها حتى من مجرد التفكير في الانفصال . والهرب كذلك ليس حلاً لأنها شديدة التعلق ببلدها وأرضها وأرض أجدادها . . . إذاً ليس هناك سوي الاستسلام والخضوع أو التمرد والجريمة . وهي قد ضاقت ذرعاً بنفسها التي استسلمت دائماً لكل ما يفرض عليها فأوضحت تفضل الثورة والخطأ على الإستمرار في الإستسلام والخضوع .

كانت تعطي زوجها جرعة الدواء بصورة متزايدة تهدد بالقضاء عليه بطريقة بطيئة خفية . . لكن أمرها انكشف . . وتضامن الأهل لإنقاذها من قصاص العدالة ، ليس رحمة بها ولكن لكي يطلق عليها قصاص اقسى وأعنف هو حكم العائلة الجبارة . وتفكر تيريز اثناء عودتها في تجديد علاقتها بزوجها والتصريح له بما يعتمل في نفسها لكي يبدأ معاً حياة مختلفة لكن الرياح لا تأتي بما تشتهي السفن .

وتجد نفسها معزولة منفية . . مطرودة . . لكن مقيدة بقيود اقوى وأشد من ذي قبل .

وقد ذكر موريك في مقدمة الجزء الثاني من اعماله الكاملة « إن أكثر اعمالها التي أحدثت ضجة هي بلا شك تيريز وقد عدت لشخصية تيريز في اكثر من عمل . .

لست أشعر بالأسف لأنني حلمت بتيريز في « نهاية الليل » لكنها

كانت موجودة قبل « نهاية الليل » ولم تضاف لها هذه القصة شيئاً . . .

إن هذه البطلة التي تركتها على أحد أرصفة باريس . . تحيا رغم ذلك أكثر من أي بطلة أخرى من بطلاتي . » .

وفي العام التالي (١٩٢٨) ، نشر موريك « المصائر » . . حيث لجأ الى تغيير الإطار العام فأخرجنا من الغابات والمياه المختبئة لكي نصل الى الهضاب التي تكسوها مزارع الكرم في مالاجار ، ذلك الإطار الذي أحاط « بالجسد والدم » . . ومن الملاحظ في قصته الجديدة أن الكاتب بذل جهداً كبيراً للتجديد والتنوع .

كان موريك يحلم دائماً بأن يكتب يوماً إحدى هذه القصص الطويلة التي لمع فيها الإنجليز في القرن الماضي . . تلك القصص التي لا تتركز حول شخصية رئيسية واحدة بل تتناول مجموعة اتجاهات مقابلة متداخلة ومتشعبة . .

هذا هو ما حاول موريك أن يطبقه في « المصائر » رغم أن البطل معروف / بوب لاجاف / والبطلة كذلك / اليزابيث جورناك / .

وتدور القصة حول امرأة ناضجة وهبت حياتها كاملة للعمل لكنها تلتقي بشاب في مقتبل العمر وتتعلق به وتكتشف من خلال تجربتها معه الحب الذي ظلت تجهل كل شيء عنه حتى هذه اللحظة .

وقد كتب موريك في مقدمة الجزء الأول من أعماله الكاملة :

« اعترف بأن الجو العام لهذه القصة يطربني : أصغني فيه إلى أنغام طفولتي طوال الصيف الحزين الماضي . . إن بوب لاجاف هو أحد

شباب عام ١٩٢٠ الذين التقيت بهم في إحدى الصالونات الأدبية .
إن الشابان اللذان يقفان وجهاً لوجه / بوب لاجاف والإبن
جورناك التقى / قد استوحيتهما من داخل نفسي وهما يجسدان
التناقض العميق داخلي . » .

أما في قصته الجديدة « الذي كان ضائعاً » (١٩٤٠) فقد دمج
موريالك قصتين قصة عائلة لينوج : هرفيه وزوجته إيرين ووالدته . . .
وقصة عائلة فوركاس : آلين وتوتا وزوجها . . . ويمثل الين فوركاس -
الذي يصبح قساً - الخير في هذا الكون المظلم بل ويبدو وكأنه يتحمل
مسؤولية مصائر الآخرين وفي مقابل هذا النموذج المشرق يقف هرفيه
دو بليينج الذي يتوغل في اعماق الشر .

في هذه القصة نجد باريس والريف . إلا أن باريس تحتل المكانة
الكبرى وتغلب على الجو العام للقصة . . اما الريف فيقع فيه ذلك
المنزل المظلم في اعماق الغابة في منطقة سوترن حيث شيت توتا مع
أخيها آلين فوركاس . شب الشقيقان في جو من المودة تربط بينهما
ألعاب الصبا فبدا المنزل لهما الجنة الضائعة . . وفي باريس ، التقى
آلين - الذي يميل بطبيعته لمطاردة النساء حتى دون أن يدرك هذا - بتيريز
ديسكيرو التي تنتمي هي ايضاً لبلدته .

وقد شعر موريالك بالندم لأنه لم يعط لهذا الكتاب ما يستحقه من
الإهتمام والعناية فقال : « ربما كان هذا العمل - من بين جميع
قصصي - أكثر ما يثير الندم لأنه ليس إلا مخططاً لما كان يمكن أن يكونه
كتاب كبير .

وهو يشهد بشكله المختصر ، المتعجل على نوع من التخوف ازاء موضوع صعب . .

إن العاطفة التي تحس بها توتا تجاه أخيها آلين وتلك التي يحس بها آلين سراً تجاه شقيقته تشكل بالفعل « بلاداً بلا طريق . . . ولكن هذه البلاد بلا طريق ليست بلا مخرج إن حدودها تفتح على السماء التي ينطلق فيها آلين . » .

إن موريك يملك رؤيا قاسية ومريرة من الحقائق الإنسانية . . . لكنه قد يتحمل هذا المشهد حتى النهاية فتصل العناية الإلهية . . وتهب لنجدة الشخصيات وإدخال نوع من الراحة والطمأنينة في قلوبهم تعرض جانب المتعة واللذات الحسية .

أما في « مكنم الأفاعي » (١٩٣٢) التي تشكل إحدى روائع موريك الخالدة فقد حقق الكاتب نوعاً من التكامل في الشكل والمضمون . . وتوصل الى كتابة ذلك النوع الذي طالما حلم بأن يكتبه دون أن ينجح في ذلك .

إن هذه القصة تتضمن نقداً لاذعاً للتركيبات العائلية التقليدية من حيث ارتباطها بالميراث .

إن بطل القصة الذي يروي لنا بنفسه حكايته الخاصة يحس أنه محاط بعصابة من الورثة فهو عبد للنباح المتواصل للكلاب التي لا ترحم . وهذا الموقف بالطبع ليس إلا نتيجة لزواج بني على أساس غير سليم .

إن هذا الاعتراف المستفيض الذي يدلي به الراوي ليس في الواقع سوى رسالة موجهة الى زوجته التي أحبها لفترة ، لكنها لم تبادله الحب

لأنها تزوجت على اساس المصالح والمنفعة ورغم هذا فإن الراوي الذي يقول عن نفسه عن طيب خاطر أنه مكنم للأفاعي هو الوحيد / إلى جانب احدى حفيداته الصغيرات التي هجرها زوجها / الذي يعرف معنى الحب .

وقد تعرض مورياك لأزمة صحية عنيفة بعد هذه القصة . لكن الجراحة التي اجريت له أنقذت حياته فكتب فيما بعد : « لو قدر لي الموت حينئذ لما أحببت أن يكون « مكنم الأفاعي » آخر كتيبي » . وترتبط القصة التالية « لغز فرونتوناك » بسابقتها بكثير من أوجه التشابه والتشابه . فهي امتداد لنفس المحيط العائلي وجو الأسرة المغلق وربما كانت لهذه القصة مكانة متميزة عند مورياك ، لأنه استوحاها من عائلته واستقاها من حياته الواقعية بل إن شخصية إيڤ فرونتوناك تكاد تكون تصويراً لشخصية مورياك وبدايته في مجال الأدب .

كما أن شخصية الأم وظروف حياتها تذكرنا بالكثير من ملامح شخصية والدة مورياك التي أوقفت حياتها على تربية أولادها بعد أن ترملت وهي شابة . . كذلك شخصية العم ، بما تكشف عنه من مفاجآت ترتبط كثيراً بشخصية عم مورياك الحقيقي

وإذا كان الكاتب قد تفنن في إبراز عيوب ذلك المجتمع الظالم، المنحاز، القاسي فقد أثبت مع هذا من نفس تلك التربة الجذبة زهرة من الشعر والحب والسماح : إيڤ فرونتوناك . .

لكن مورياك لا يستطيع أن يتخلص بسهولة من شخصية تيريز

ديسكيرو التي لا تزال تكمن في عقله الباطن... نعود فنراها في «انحدار» عند أحد الأطباء النفسين أو في «نهاية الليل» في أحد الفنادق ثم نشهد موتها في أرجولز ذلك المكان الذي تعلق به قلبها وتأصلت فيه جذورها وإن اقتلعت الثمرة وألقيت بعيداً عنه.

وقد نجحت شخصية تبرز في اجتذاب الحب والعطف لكنها عانت من الوحدة والضيق واليأس القاتل -

في عام ١٩٣٦، يسترعي انتباهنا عنوان آخر ينتمي لعالم مورياك وينبئ عن مضمونه: «الملائكة السوداء».. يلي هذا العمل مباشرة «نهاية الليل» كما لو كان مورياك قد أراد أن يضرب في الأعماق ليصل إلى الشر في مكمنه ويختلف أبعاده.

«الملائكة السوداء»:

وهب الله جابريال جرادر وجهاً مضيقاً بالإيمان، لكن الفساد والنوايا الشريرة يملآن قلبه ونفسه... أما آلان فوركاس رغم قتامة لونه وثوبه الكهنوتي الأسود فقلبه عامر بالحب والإخلاص... وهو الذي ينجح بصلاته الوردية في إنقاذ الجميع من حوله..

إن الملائكة السوداء هنا هما فوركاس وجرادر لكن سواد أحدهما ليس إلا خارجياً ظاهراً أما الآخر فسواده خفي داخلي. وإنه لمن المثير حقاً أن نجد كاتباً اشتهر بتحليلاته النفسية المتعمقة ينتقل هنا إلى علم الظواهر الروحية على طريقة دوستوفسكي أو برنانوس.

وبعد فترة انقطاع عن عالم القصة لم ينقطع خلالها عن عالم الأدب - عاد مورياك إلى حبه الأول / إذا صح التشبيه / وقدم عام ١٩٣٩

عملاً ينهج نفس أسلوب قصصه السابقة: «طرق البحر». يسبح هذا العمل في أمواج بورودو الحبيبة. . وتترأى الغابة على البعد بحيث يصعب على العين إدراكها في أفاق ليونيون، ضيعة ريفولو التي تقع في ضواحي المدينة.

رما كان من الصعب أن نعطي في بضعة أسطر ملخصاً شاملاً لتلك المصائر التي تتعارض وتتقابل وتتشابك. . لكن الواضح أن فكرة الشر والتناقض الوجداني داخل القلب البشري لا تزال - تسيطر على الأديب.

إن ما كتبه مورياك بصدد «الملائكة السوداء» و «الذي كان ضائعاً» و «مكمن الأفاعي» ينطبق كذلك على «طرق البحر». . فهي تستحق أن يطلق عليها «أعمالاً كاثوليكية تستند تماماً إلى الوحي». . ذلك أن الطبيعة البشرية والعفو الإلهي لا ينفصلان فيها وإن كانا يتعارضان. .

وقد تركت هذه القصة علامات لا تنسى على درب أعمال مورياك كالشعور بالواجب العائلي الذي يجمد المشاعر، والمواجهة مع الموت التي تترك في نفس الشاب أثراً عميقاً لا يمحي.

تربط أواصر الصداقة والحب في هذه القصة بين أفراد عائلتي ريفولو وكوستادو اللتين كان انتحار أوسكار ريفولو في أصل الحكاية سبباً في تقسيمهما والتفريق بينهما. تبدو شخصية لوندين قائمة توحى بالشذوذ الجنسي الذي لا يعبر عنه مورياك صراحة لكن كل الدلائل تشير إليه. .

وعلى أي حال فذلك أسلوب مورياك فيما يتصل بهذه المسائل

الشائكة. إنه لا ينكر وجودها فهو يقبل الطبيعة كما هي لكنه يتغاضى عن تعريتها ويلتزم بالإيحاء للإشارة إلى الموضوعات التي يمتنع عن التحدث عنها صراحة.

يطرق مورياك باباً جديداً مع «المراثية». . فقد رأينا أنه سعى إلى تجديد نفسه مع كل عمل جديد لكنه مع هذا احتفظ دائماً بنفس السمات الأصلية التي تميزه بين الآخرين. وفي هذا العمل راح مورياك يشق طريقاً جديداً بالنسبة له، وإن كان معروفاً وتقليدياً للآخرين. راح يقدم نماذج تمثل أخلاقيات وطبائع معينة بصورة تقترب بشكل أو بآخر من الكاريكاتير.

إن بريجيت بيون هي المقصودة بعنوان القصة وهي البطلة. . لكن هناك أيضاً جون دو ميريل الذي حظي بتربية أحاطتها ظروف مؤسفة فقد شهد ذات ليلة - بمحض الصدفة - علاقات والدته - كان لهذه الذكرى أثر لا يحى في نفس الصبي. . بل إنها كانت السبب الذي جعل منه إنساناً متمرداً حائراً. كما أن هناك لويس الراوي وشقيقته. لويس أحد الذين أسيء إليهم وهو يثير الشكوك من حوله.

حاول مورياك في النهاية إنقاذ بطلته فكتب عنها في نهاية قصته. . «لقد أدركت الآن أن المهم ليس الاستحقاق بل الحب».

لم تتل هذه القصة - تماماً مثل بطلتها - النجاح الذي كان يتوقعه لها مورياك لذا انقطع عن كتابة القصة لفترة طويلة من ١٩٤١ - ١٩٥١ لكن هذا لا يعني أنه ابتعد عن الكتابة أو التأليف فقد شغل طوال هذه الفترة بالكتابة للمسرح وممارسة النقد الأدبي المسرحي في الصحف بالإضافة إلى نشاطه السياسي الضخم.

وجدير بالذكر أن هذه الفترة لم تنل من مقدرة مورياك القصصية فقد سجلت عودته أحد أعماله الرائدة: «الساغوين» أو «القدر».

تعيد هذه القصة تصوير أحد الذين أسىء حبههم، طفل أبله، منفرد، ضائع وسط عالم لا يستطيع أن يحيا فيه. إنه لا يطالب الآخرين بشيء سوى الحماية «وجو الأمان الضروري الذي استماتت أمه في عزله عنه» (الفصل الأول، الجزء الثاني عشر من الأعمال الكاملة ص ١٢).

يبدو أن مورياك في هذه القصة أو القصة التي تليها: «جاليجي» عام ١٩٥٢ قد سيطرت عليه فكرة الطفل المغضوب عليه، الطفل الذي لا ينجح في اجتذاب الحب والعطف.

كان المفروض أن يكون عنوان قصة «جاليجي»: «الرغبة والتقرؤ». تبدو المأساة هنا أقل قسوة لأن الضحية ليست من الضعف بحيث تستدر الشفقة. إنها تنتقم لنفسها من نيكولا الذي يعاملها بخشونة واشمئزاز فتتزوج من شخص آخر أكثر ثراء. . ويتاح لها أن تعذب تلك الشابة التي ستصبح ابنتها. . أما الجانب الآخر من القصة فيتركز في رغبة جاليجي في الاستيلاء على نيكولا وذلك بتهيئة الظروف العاطفية لجيل مع شخص آخر. . مزيج من الصداقة والحب يربط بين نيكولا وجيل هناك رجلان في حياة جاليجي. . أحدهما: تزوجها وفر ليلة الزفاف، والآخر نيكولا الذي يصبح بعد خطبة جيل حبيباً منهجوراً.

في عام ١٩٥٤، قدم مورياك قصة «الحمل» التي يذكرنا أبطالها

بأبطال «الملائكة السوداء». التقى جزائيه دارتيجلونج، وهو في طريقه إلى المدرسة الاكليركية بجون دو ميريل. وبعد حوار طويل، وجد دارتيجلونج نفسه وقد غير طريقه ليمضي مع رفيق الرحلة. ويتصرف جزائيه دائماً بكل براءة ونقاء. . . ويلتقي بالحب لأول مرة، حب متبادل كان المفروض أن يهبه السعادة. لكنه لا يملك أن يحقق لنفسه السعادة المرتقبة فهو يحس بأنه مكلف برسالة عظمى تجاه النفوس الضعيفة المحيطة به. . . ويمضي جزائيه في رسالته مخلصاً حتى النهاية أي حتى الموت. .

ويختتم موريك أعماله القصصية بقصة تجمع شتى الأفكار والموضوعات التي ترددت على مدار حياته وأعماله: «مراهق الأمس» (١٩٦٩)

وكتب في مقدمتها تلك الكلمات لكافكا:

«إنني أكتب بطريقة مختلفة عما أتحدث، وأتحدث بطريقة مختلفة عما أفكر، وأفكر بطريقة مختلفة عما كان ينبغي أن أفكر بها، وهكذا حتى أقصى أعماق الظلمات.»

إن هذا العمل الأخير يعد دليلاً على وضوح رؤية موريك عن نفسه وحقيقة ذاته. فما من شك أن المراهق الذي عاش في بداية هذا العصر ليس إلا موريك نفسه.

ولا يعني هذا أن جميع المغامرات التي تعرض لها بطله الأسطوري قد حدثت بالفعل لموريك وأنه يكتفي هنا بسردها وتصويرها. لكن هذا البطل قد استوحى من حياته واستخلص من واقعها ليعكس

حقيقة ذاته .

«إننا لا نملك الأرض بل إن الأرض هي التي نملكها . لذا كانت آخر الأعمال التي حاول موريك أن يكتبها لكنه لم يتمها هو «مالتافرن» .

كان موريك قد صادف هذا الاسم في إحدى القصص التي أمتعت طفولته . وقد أصبح الابن جاجاك في «مراهق الأمس» المالك الوحيد لمالتافرن بسبب موت أخيه الأكبر . ثم أعاد موريك استخدام هذا الاسم كعنوان لقصته التي لم تكتمل .

وأصبح بطل القصة السابقة عجوز مالتافرن ، وراح يكتب لمعجب شاب رسالة مستفيضة تحكي قصة حياته . ثم يصل جون دوسرناس بسيارته لزيارته في مالتافرن . وكان المفروض بعد هذا أن تتوالى الأحداث لكنها توقفت بتوقف نبض مؤلفها .

*** لا شك أن من أهم ما يميز أعمال موريك بصفة عامة ، وقصصه بصفة خاصة هي الوحدة والتناسق . وربما أعاد موريك تقديم إحدى شخصياته في أكثر من عمل . . وأحياناً يكفي بمجرد تكرار الاسم وكثيراً ما تكون الشخصية امتداداً وتطوراً لشخصية سابقة يسعى من خلالها إلى تحديد مصيرها واستكمال شخصيتها : «غاية الليل» ليست إلا تكملة «لتيريز ديسكيرو» كما أن «الملائكة السوداء» تتكامل مع «الحمل» .

وإذا نظرنا إلى أعمال موريك من بعد ، فسنجد أنها سلسلة أحلام متصلة تشمل غاذج معينة : الذين أسىء حبهم ، والأم المحبة أو

المتسلطة، والمراثية، والمراهق الحائر بين تناقضاته. الأمر الذي دفع الكثيرين لأنه ينتقدوا في أعماله نوعاً من التكرار أو الملل. إلا أن هذا التكرار لم يكن في الواقع سوى ذكريات مختزنة ووفاء لا حدود له وأصالة متميزة منفردة.

إن عودة الشخصيات ليست إلا دليلاً في حد ذاته على وحدة العمل ككل ووحدة الاتساق الجمالي... إن التصور المبدئي «لقبلة الأجدم» احتفظ بجأسة جون بلوير وفرناند دو كازناف ووالدته ومغامرات دانيال ترازيس على هامش القصة في حين احتلت نفس هذه الشخصيات البطولة في قصتي «جينيتريكس» و«مهر النار».

لقد ولدت هذه النماذج الثلاثة من نفس الوعي وكأنها وجوه متكاملة.. جون اليتيم الذي أسىء حبه وأصبح عاجزاً عن أن يوحى بإحساس آخر غير الشفقة، وفرناند الابن الذي خنقه مزيد من الحب والتسلط من جانب أمه، ودانيال الذي يمارس سحره وجاذبيته على النساء.

أما آخر قصص موريك: «مراهق الأمس»، فإنها تتيح لنا أن ندرك جيداً العلاقات الرئيسية المركبة المتشابكة بين الحياة الواقعية والكتابة، بين الروائي وشخصياته..

لقد ظل موريك منذ أولى أعماله الأدبية يستقي من ذلك «المخزون الهائل من الذكريات والصور التي جمعتها الحياة داخله».. «الروائي وشخصياته»، الأعمال الكاملة، الجزء الثالث (ص ١٣) لكي يعطي لشخصياته ماضياً وحاضراً.. فكان يعود دائماً إلى نفس الأماكن ليضفي على هذه الاقتباسات مزيداً من الأصالة.

وكما كانت الأماكن المعروفة المرتادة تشكل الإطار المميز لأعمال موريك كانت الشخصيات التي تأثر بها وخاطتها تتبلور في كتاباته: الجدد الأكبر موريك، العم لابيير، آنسات جوهانوا، الجدة الأم، إلخ..

لم يمكن موريك دائماً ينقل الشخصية تماماً كما عرفها في الواقع بل كان كثيراً ما يستوحي منها بعض السمات والملامح المؤثرة لكي يبنى عليها شخصية متميزة تتمتع بالحياة والواقعية. ذلك أن الذكريات اختلطت دون شك بمفهوم موريك الشاب آنذاك فخضعت لبعض التعديلات والتغييرات. وعلى أي حال فقد صرح موريك في «البلوك - نوت» (٣) أو «مفكرته الثالثة» ص (٤٠١) أن أعماله - تماماً مثل قصة حياته - «قصة نقلت من خلال قلبه وجسده». ربما فسر لنا ذلك ميل موريك لاستعمال أسلوب المتكلم: «أنا»؛ فقد علل ذلك بقوله: «إنني أبدأ القصة فأبدأ حكايتي باستعمال أسلوب المتكلم كما أفعل لكي أسهل عملية الإقلاع» («البلوك - نوت» (١) ص ٤٣).

كان موريك دائماً يشعر بالقلق تجاه الخلق الأدبي، مزيج من الرهبة والإبهار، بيد أن هذا القلق كان مصدر قوة للعمل ذاته.. قلق نابع من الجاذبية والخوف أمام هذه الشخصيات التي ولدت منه، وردود الفعل المتعددة المتناقضة التي توحى بها إليه. وقد عاب الكثيرون على موريك شعوره بالكراهية تجاه شخصياته لكن الكاتب نفى ذلك بشدة وأكد أنه يثور ضدهم بقدر رغبته في إنقاذهم.. ذلك أن كراهيته تجاههم ليست إلا تلك الكراهية الغريبة «التي يوحى بها

إلينا وجهنا الحقيقي» («مذكراتي الخاصة الجديدة» ص ٦) ..

كان مورياك يحس بشخصياته بدرجة تحمله على إنقاذاها وتأكيد خلاصها. وأحياناً يكون خلاص إحدى الشخصيات مقابل ضياع شخصية أخرى. وقد واجه مورياك أفضع النقد من خصمه سارتر الذي اتهمه بأنه ليس روائياً قط واستند في اتهامه إلى «تلك الطريقة التي يرتبط بها مورياك في بادئ الأمر مع شخصيته ثم يتركها فجأة وينظر إليها من بعد وكأنه قاضي». وقد ود عليه مورياك بروايته التالية «المراثية» حيث عهد بمهمة الرواية إلى الراوي في حين احتفظ بكل ما يميزه وهكذا عبر الأديب عن نفسه من خلال الراوي الذي يملك الحق في أن يحب أو يكره شخصيته دون أن يتعرض لأذى لوم.

وإذا كان مورياك يحب شخصياته بقدر ثورته عليها فذلك لأنها تمثل ما كان يمكن أن يكونه لكنه رفض أن يكون عليه.

جدير بالذكر أن مورياك الذي تمتع بحياة أدبية كللها النجاح وزخرت بشتى أنواع التكريم والتقدير (انتخب عضواً في الأكاديمية الفرنسية عام ١٩٣٣ - حصل على الجائزة الكبرى للقصة عن «صحراء الحب» التي نشرت عام ١٩٢٥ ثم عاد فحصل على جائزة نوبل للأدب عن نفس القصة - جائزة أحسن مسرحية عام ١٩٣٨ - إلخ)، ولم يعترضها الفشل إلا نادراً، لم ينس رغم هذا «بدايته الطويلة المظلمة» (بلوك نوت (٥) ص ٢٨٣). إذ أن «تلك الجوائز، الرفيعة التي لا تنتهي (بلوك - نوت (٢) ص ١٥٩) لم تمنعه من أن يتذكر دائماً المصاعب الشائكة التي صادفته، صرح مورياك غداة حرب ١٩١٤ «إنني لا زلت لا شيء على الإطلاق». (صحيفة رجل في

الثلاثين من عمره، أول يناير ١٩١٩، الأعمال الكاملة، الجزء الرابع، ص ٢٥٦).

لكن النجاح الذي صادفته قصتنا «الجسد والدم» و«المصالح البالية» أدخل على نفسه نوعاً من الطمأنينة والارتياح فراح يقول: «لقد أثبت وجودي بعض الشيء» (صحيفة رجل في الثلاثين من عمره، ١١ أكتوبر ١٩٢١، ص ٢٦٥). ثم أتى النجاح مؤكداً واضحاً مع «قبلة الأجدم»: لقد تملكني الإحساس بأنني وصلت أخيراً إلى البحار العالية. «مقدمة الجزء الأول من الأعمال الكاملة (ص ٩٩٠)

إذا كان مورياك قد حاول في بداية حياته الأدبية أن يرسم نفسه في شكل متخفٍ فذلك ليس بالغريب: إحقاقاً للقول، فإن جميع الروائيين بدأوا بتقديم صورة مطابقة لنفسهم ومغامراتهم الروحية والعاطفية. «(الروائي وشخصياته الأعمال الكاملة. الجزء الثامن - ص ٢٨٨). هكذا يجتنبىء مورياك خلف أبطال رواياته: «الطفل المكبل بالقيود» و«ثوب النلاء». . - الخ الذين يشاركونه ذكريات طفولته وأحاسيسه الروحية وأفكاره السياسية.

من جهة أخرى، بدأ مورياك كتابة القصة وقد سيطر عليه ميل واضح للمواقف العنيفة والعواطف الجياشة لكن تأثير بورجيه وباراس عليه قبيل الحرب العالمية الأولى بدا واضحاً. فأصبحت القصة الفكرية تجذب اهتمامه أيضاً. وظهر له كتاب: «كبار المفكرين في هذا العصر». تتركز هذه القصة - إذا صح تسميتها قصة - على حوار بين شابين حول الأدب في إطار موقف رومانسي غير

محدد. لكن إندلاع الحرب حال دون استكمال مشروع ثم عدل عنه نهائياً عام ١٩١٧. وقد فكر مورياك طويلاً في كتابة قصة عن الحرب يستعرض فيها تجربته الشخصية، لكنه أيضاً يعدل عن هذا المشروع ولا تظهر الحرب إلا بين السطور. ويتجه بعد ذلك إلى القصة ذات المضمون الاجتماعي في «المصالح البالية» ثم ذات المفهوم الأخلاقي في «الجسد والدم».

تعلم مورياك الكثير من التراجيديا الكلاسيكية. إلا أنه لم يتقيد مثلها - إلى حد ما - بتحديد المكان والزمان. ورغم هذا، تبدأ القصة عادة عند النقطة الحرجة التي من شأنها تحديد النهاية ومصير الشخصيات: جون بلوير في «قبلة الأجدم» يلمح أخيراً وميضاً من الأمل يضيء مستقبه.

لكنه ما يلبث أن يكتشف أنه أمل يائس... أما «جينيتريكس» فتبدأ مع احتضار ماتيلد وموتها حيث تعتقد الأم أن الكابوس الذي كان يجثم على صدرها قد انقشع.

لكنها ما تلبث أن تكتشف أن كل هذا ليس إلا سراً الخ... نوع من التركيز يبدع فيه مورياك فيصبح سراً من أسرار كتاباته كما هو الحال في «تيريز ديسكيرو» و«صحراء الحب» التي لا يتعدى فيها زمن القصة أمسية تستعرض من خلالها الذكريات التي تشكل في حد ذاتها أحداث القصة... وإذا تحدثنا عن تأثير مورياك بالشخصيات الكلاسيكية فإن فيدر تأتي في أول القائمة. وقد أكد مورياك نفسه «أنها تظهر ما بين السطور في جميع قصصه تقريباً» «حياة جون راسين»، الأعمال الكاملة، الجزء الثامن، ص ١٠٤). تلك المرأة

الناضجة التي تهيم حباً بشاب صغير كان يمكن أن يصبح ابنها سيطرت دائماً على عقل وفكر موريالك فتقلها من خلال ذاته وإحساسه في عدة نماذج وصور في «الشر» و«صحراء الحب» و«المصائر» و«جيتيريكس».

وحين نتحدث عن شخصيات موريالك، نلاحظ أن هناك عاملاً رئيسياً يربط بينها جميعاً، ذلك أن كلاً من أبطال موريالك يولد معه قرين. . . كذلك الحال في «الجسد والدم» و«ثوب النبلاء» و«المصالح البالية» و«المراثة» . . . الخ.

إن بطل موريالك لا يملك أن يعيش دون ذلك الظل الذي يتبعه أو ذلك الوميض الذي ينقذه أو ذلك الملاك أو الشيطان الذي يصاحبه. وتتميز علاقة البطل بقرينه بشعور بالمنافسة ربما تمثل في إحساس بالندم أو اتخذ شكل الغيرة المشتعلة: جون بلوير يغبط الفلاح الشاب الجميل بل ويشعر تجاهه بكراهية غريبة. كذلك فإن سلوك بيير جورناك العنيف تجاه بوب لاجاف يعد اعترافاً من الأول بتفوق الأخير عليه.

بل وفي أغلب الأحيان، تتمثل المنافسة في إطار ثلاثي: جاك، كاميل، وابن العم الباريسي، الراوي وشقيقته وأوجستان في «المصالح البالية»؛ بيير جورناك، وبول دولا ساسك وبوب لاجاف؛ لوي بيون وشقيقته وجون دوميربل . . . الخ.

يبدو التناقض واضحاً بين الملائكة البيضاء والملائكة السوداء. ذلك التناقض الذي يوضح ملامح كل منهما، ويميز مميزاته الخاصة

إن التكنيك القصصي عند مورياك يرتبط ارتباطاً وثيقاً بذلك الصراع بين قوى الخير وقوى الشر التي تتمثل في ثنائي الطفل الهادي والشاب المغامر المتحرر، أو الشخص الفاسد المنحل وطالب الدين النقي، أو المجرم والقس. وكلما كان أحدهما قائماً كلما ارتفع الآخر على المستوى الروحي لكي يظل التوازن قائماً: تيريز ديسكيرو أمام آن دولا تراف، وجون لوي أمام إيف فرونتوناك، الأم والزوجة في «جيتيريكس» والصراع بين الأب والابن في «صحراء الحب».

و غالباً ما يتخذ التناقض شكل المواجهة الصريحة أو المستترة بين الأم وابنها، بل إن هذه المواجهة من العناصر الرئيسية في قصص مورياك بصفة عامة وإن كانت «جيتيريكس» هي أوضح الأمثلة لأنها تدور أساساً حول هذا الموضوع. . . وأحياناً تكون المواجهة بين الشاب الصغير والسيدة التي تكبره وتمثل بشكل أو بآخر صورة الأم. والغريب أن العلاقة تبدأ بالتجاذب والتقارب. لكن التناقض ما يلبث أن يتضح ويبرز مفجراً المأساة الحقيقية: فاني وفابيان في «الشر»، ماريا كروس وريمون كوراج في «صحراء الحب»، اليزابيث وبوب في «المصائر»، فيدر تعود في ثوب جديد. وربما كانت القصة الوحيدة التي تتحدث عن الحب الحقيقي بين الأم والابن، الحب بمعناه الحقيقي، الحب الذي يمنح الحماية ويعتبر المكان والملجأ هي «لفز فرونتوناك».

أما الحب بصفة عامة فهو دائماً صراع ومعاناة وآلام. . بل إنه يستمد وجوده واستمراره من هذه المعاناة وهذا العذاب. لأن مورياك يقسم الناس إلى فئتين: الجلال والضحية، الظالم والمظلوم: «الحب

الذي نوحى به.. ماذا يمكن أن يكون إن لم يكن تلك الدموع التي نسكبها؟» (جورنال (١)) «جرعة من السم» الأعمال الكاملة، الجزء الحادي عشر ص ١٢١).

إن الشخص نفسه يمكن أن يكون تارة الضحية وتارة الجلاد. فحين يحس جاليس دوسرناس بالكراهية تجاه زوجته التي تعذبه يتذكر أنه كان هو نفسه الجلاد بالنسبة لهذه المرأة.. (الفصل الأخير، الأعمال الكاملة، الجزء الثاني عشر ص - ٦٤).

أما عن مفهوم الحياة الحسية عند مورياك، فقد أفاض في شرحه بنفسه. إن التقهقر والانسحاب ليس إلا شعوراً بالتقزز تجاه الجسد واحتياجاته.. تيريز ديسكيرو تمارس الجنس مع زوجها وكأنه عملية اغتيال «كنت أبدو وكأنني ميتة كما لو كان هذا المجنون يوشك أن يخنقني عند أول حركة».

(الضمير، غريزة إلهية، الأعمال الكاملة، الجزء الثاني، ص

٥١٥)

لقد ربط مورياك بين الجريمة والجنس منذ «قبلة الأجذم». منذ ليلة زفاف جون ونومي: «بلوير كان لا يجرؤ على أن يتحرك - كربه وكأنه دودة بجوار تلك الجثة الملقاة أخيراً كانت وكأنها شهيدة نائمة..» (الضمير، غريزة إلهية، الأعمال الكاملة، الجزء الثاني، ص ٤٦٦).

أما في «جاليجي»، فإن المرأة هي التي تحس بالغربة والرجل هو الذي يرفضها بالنسبة لدور الرجل أو الأب في قصص مورياك، فقد

تأثر بتجربة مورياك الذي توفي والده وهو بعد صغير. فنشأ في عالم «تسيطر عليه النساء» (مذكراتي الخاصة الجديدة ص ١٣١). لذا نجد الآباء في قصصه الأولى شخصيات تفر هاربة مثل الراوي في ثوب النبلاء الذي ضحى بكل شيء في سبيل أحلامه، وشخصية العم الذي ينظر إليه باحتقار وتسيطر عليه زوجته وحماته فيهرب من واقعه إلى مغامرات وضيعة. وفي الأعمال التالية مثل قبلة الأجدم، وصحراء الحب، ومكمن الأفاعي يبدو الأب عاجزاً عن فهم ابنه بل وربما فرقت بينهما المنافسة. وغالباً ما يلقي البطل بمسؤولية فشله على عاتق والده: تيريز تحمل والدها مسؤولية تصرفاتها، ودنيس ريفولو يشعر أنه ضحية انتحار والده، وجرادار يبدو وكأنه تجسيد للشر. كل التناقضات والأخطاء تلقى على أكتافه. ويبدو انتحار الأب فكرة شائعة في قصص مورياك: جوزيه جزيمينيس انتحار والده أمام منزل ممثلة شهيرة، ووالد دانيال ترازيس انتحار لكي لا يعيش بعد موت زوجته، وهرفيه دوبلينوج يتذكر دائماً انتحار والده. كما أن انتحار الأب هو الذي يشكل بداية «طرق البحر». ليس الأب فقط هو الذي يفكر في الموت بل العديد من شخصيات مورياك. إدوارد وفيلي و«القدر» ينتحرون في حين يفكر الآخرون في الموت بل ويقتربون منه: كلود في الجسد والدم يجري إلى النهر، وفاني في الشر تتناول كمية من الحبوب بغرض الانتحار، وفابيان يحاول أن يقتل نفسه، أما تيريز فتحلم بالانتحار دون أن تجرؤ على اقترافه، وماريا كروس تنتحرب بصورة رمزية.

أما القصص الأخيرة فهي تشكل نوعاً من الدفاع ضد هذا الموقف. لكنه ليس دفاعاً بالمعنى الصحيح، بل هو استسلام للحياة

فالفراار مستحيل . إن الهروب من الزمن أو المكان ليس هروبا من الحياة . لقد شهد موريك الموت وهو صغير وظل يذكر حتى نهاية حياته وفاة جده ويشعر بنوع من الرهبة تجاه تلك الغرفة القائمة التي أسدلت ستارها بعد أن رحل عنها جثمان الفقيد .

إن تسلسل القصة وحركتها وعواطف الشخصيات وأحاسيسها تسير في انسجام وتكامل مع الجو العام والإطار المناخي والمناظر الطبيعية المحيطة بها . هناك نوع من التفاهم الخفي بين ذلك المشهد أو تلك المشاعر وذلك الفصل من فصول السنة أو تلك الساعة من ساعات اليوم .

إن ديكور هذه القصص ليس مجرد إطار ساكن ميت بل هو ممتلئ بالحياة والحركة غني بالتعبير والتفاعل . كل ما فيه يتكلم : الألوان والأصوات بل والروائح كذلك لها دلالتها، رائحة أشجار الصنوبر، رائحة النعناع على حافة النهر، رائحة الأرض التي تشبعت بالمطر أو الندى .

هذا لا يعني أن موريك يفيض في سرد التفاصيل بل إنه ليس من المولعين بالوصف، اللهم إلا إذا تطلبت القصة . لكنه يستلزم أن تدور الأحداث وسط جو مألوف يعرفه الكاتب جيداً . فلكل إنسان ساعات مميزة كما أن له أماكنه المفضلة . وإذا كان الإنسان من طراز موريك فإن أوقاته المفضلة وأماكنه المحببة تظل دائماً تلك التي ارتبطت بذكريات طفولته وموطن صباه وشبابه .

لا شك أن موريك وهب من الثراء والتنوع ما يمنحه مكانة مميزة

في شتى المجالات الأدبية التي خاضها إلا أن القصة تبقى دائماً أروع ما قدم. إنها تتوج الدرب بل تلك الدروب التي خاضها موريك فوصل فيها إلى أبعد مدى.

لقد ارتقى موريك سلم المجد إنطلاقاً من عدة نقاط، فكانت القصة أسرع طرقه إلى القمة والخلود.

قصة امتزجت فيها شتى المشاعر الإنسانية: الحب والكراهية، الإيمان والمتعة، الخير والشر، كل الإنسان بآلامه وآماله وأحلامه، صراعاته وتحدياته وواقعه وخياله؛ الإنسان وصديقه وأخيه، الابن وأمه وأبيه؛ كل ما نحس به نقله موريك عبر شخصياته النابضة.

دعوة صريحة لكي ننظر إلى عيوبنا وأخطائنا ثم نتعلم كيف نغفر ونسامح فمن منا بلا خطيئة؟.

٥ - موريك بين النقد والتأليف المسرحي

شغف موريك بعالم المسرح منذ نعومة أظافره . وظل يذكر - وهو في الثمانين من عمره - تلك السعادة الغامرة التي استولت عليه حين دخل المسرح للمرة الأولى واستقر على كرسيه وكأنه حصل على «مكان في الجنة» (الإحتفال بالعيد الثمانين لمولد موريك ١٩٦٥ ص ٢٧).

والعجيب ان موريك - الذي أحب المسرح منذ سن مبكرة لم يكتب للمسرح إلا متأخراً. لكن بدايته سجلت نصراً فنياً. إن مسرحية أسمودية ليست مجرد بداية متألفة في مجال جديد بالنسبة للروائي الشهير، بل كانت حدث الموسم (١٩٣٧). وتعد هذه المسرحية إمتداداً لمسرح راسين العظيم وهي تثري المسرح المعاصر بمادة غنية وخالدة وسط خضم هائل من الأفكار المتلاطمة

المتأرجحة التي صاحبت وأعقبت الحرب العالمية الأولى. لم يكن من الغريب إذاً أن تمنحها الأكاديمية الفرنسية جائزة إميل أوجييه التي تمنح لأحسن مسرحية قدمت خلال العام. أما مسرحيته الثانية «الذين أسىء حيهم» فقد جاء لتؤكد نجاح الأولى. بل إن البعض يرى أنها تفوقها. حتى مسرحيته الثالثة «مرور الماكر» التي لم تصادف النجاح من قبل بعض النقاد - فقد استقبلها الجمهور أروع استقبال. ثم توج مورياك نجاحه بمسرحية «النار على الأرض»، آخر مسرحية قدمها للجمهور. لكنه ترك لنا مسرحية لم تكتمل بدون عنوان تؤكد حسه المسرحي الموهبته في الخلق المسرحي.

يتمي مسرح مورياك للمسرح النفسي، إلا أنه يتميز في الوقت نفسه بالواقعية ويتعداها إلى ما وراء الطبيعة حيث يبرز الصراع بين الرغبات الجياشة والعناية الإلهية. ويطبق مورياك في المسرح مفهومه «الراسيني» عن الأزمة أو العقدة. لا توجد أحداث بالمعنى المفهوم لكن تطور المسرحية يسير وفقاً للتطور النفسي للشخصيات وصراعاتها الداخلية. إن الضمير البشري لا يغفل مطلقاً في أعمال مورياك المسرحية؛ تلك الأعمال التي تعكس النفس البشرية في الماضي والحاضر، في فرنسا وخارجها. وقد استطاع هذا المحلل النفسي البار - وإن كان ينجح أحياناً للقسوة - من خلال تنقيبه في نفوس شخصياته، أن يستخلص حقيقة الإنسان. إن مورياك يتفهم شخصياته ويدرك معاناتها، إنطلاقاً من إيمانه العميق بالله، لذا فليس من المستغرب أن نقول أنه يقدم تحليلاته النفسية في ضوء تجربته الدينية.

ألا يستحق هذا المسرح إذاً أن تتناقله الأجيال المتعاقبة؟ إن تلك الأعمال ما عفا عليها الدهر أو تخطتها الاتجاهات الأدبية الجديدة، لسبب بسيط هو أنها إنسانية، ومن هنا فهي أيضاً عالمية. فطالما ظل الكائن البشري يعاني ويتألم، وطالما ظلت رغباته الحسية تؤرقه، والتطلع إلى الفضيلة يشغل تفكيره، فإن المسرح النفسي سيستمر ويزدهر.

وبقدر تنوع موريك وثرء إنتاجه الأدبي من قصة ونقد ورسالة وصحافة وشعر ومسرح بقدر ارتباط شتى أعماله بوحدة عميقة وأصيلة. لقد ذكر بيير بريسون في «أحاديث مسرحية» أن أعمال موريك لا تقبل التجزئة «لأنها من طرف لآخر وفي مختلف مظاهرها ليست سوى قصة النفس البشرية وصراعا ونضاتها». وقد تعرض موريك للنقد لهذا السبب نفسه. ليس من شك أن موريك موحد الإيقاع والنغمة؛ لكن جون راسين - أعظم المؤلفين الكلاسيك كان كذلك. لماذا إذاً نرى في تلك الوحدة وذلك التآلف عيباً يسيء إلى أعمال موريك؟ أليس من الأجدر أن نصرح بأنها تتيح له مزيداً من العمق والأصالة والتفرد.

لقد نقل موريك إلى مسرحه نفس الجو العام المتميز لقصصه: المنازل العائلية الكبيرة وسط الحقول المترامية، الرائحة المنبعثة من دخان الحريق المشتعل في أشجار الصنوبر، حرارة الصيف الخائفة وشمسه الحارقة، ألسنة اللهب التي تندلع في الغابات فتأتي على ما فيها، عالم الطفولة الذي استمتع فيه موريك بالموسيقى وترديد الأغاني في أمسيات السهر مع الأصدقاء، المجتمع البرجوازي

بأنانيته وماديته، الشوق الى النقاء والتضحية، الشعور بالحرمان والألم الذي يرتبط بالحب ويلزمه، فكرة الموت التي تسيطر على الشخصيات وتلاحقها، وأهم من هذا كله ذلك الصراع الأبدي بين الخير والشر في شتى صوره. كل عناصر الطبيعة تشارك في تلك السيمفونية الرائعة التي استوحاها موريك من موسيقى موزار.

إننا نصادف في مسرح موريك نفس الشخصيات التي نلتقي بها في كافة أعماله: تلك الشخصيات المعذبة التي أسىء خبها وخضعت لحكم القدر ثم انتهت إلى إختيار طريق التقوى والخلاص. ربما ربطت بين الشخصيات بعضها البعض علاقات مشبوهة دون أن يشير موريك صراحة إلى الشذوذ الجنسي.

يمجد موريك بصفة خاصة مشاعر العزلة والوحدة التي تصيب الفرد حتى وهو وسط أقرانه. وقد ذكر أحد أبطال مسرحية الذين أسىء حبهم: «إننا نتعذب بمفردنا». بل إن تلك الفكرة تشكل نهاية مسرحياته الأربع.

من جهة أخرى، فإن الرغبة في الكتابة للمسرح ظلت دائماً تراوده؛ وإن كان لم يخض هذا المجال سوى عام ١٩٣٧. وقد كتب مسرحيته الأولى «مونتفيج» قبيل الحرب العالمية الأولى لكنها لم تعرض على الجمهور. وفيما بعد، حين عين صديقه إدوارد بورديه مديراً للكوميدي فرانسيز وطلب منه الكتابة للمسرح، كان موريك قد أعد بالفعل شخصيته الرئيسية التي ما لبث أن نسج حولها خيوط مسرحيته. والواقع ان موريك كان يعد نفسه دائماً

مؤلفاً مسرحياً كتب القصة؛ وربما يرجع هذا إلى أن شخصيات رواياته تعد شخصيات مسرحية. على أي حال، فإن مورياك يعتقد أنه لا توجد فواصل بين شتى صنوف الأدب لأن «الفنان يحس بداخله عالماً خاصاً به يود أن يعكسه في مجال أو آخر» (صحيفة كارفور - ٢٤ أكتوبر ١٩٥١ - حديث مع هنري موليه). كما يعتقد مورياك أنه «ما من روائي لا يحمل في جنباته شاعراً أو مؤلفاً قديماً» إن كبار مؤلفي المسرح كانوا دائماً قادرين على خلق شخصيات أقوى تركيباً من شخصيات الروائيين. إن الشعر والقصة والمسرح تشكل الصور المختلفة التي تعبر عن موهبة واحدة وهي خلق كائنات حية يصل بعضها أحياناً إلى الخلود حين يسمى «فيدر» أو «عطيل» أو «هاملت» (آخرون وأنا - الجزء الثاني و «أنا» - النار على الأرض).

من جهة أخرى، لا ينبغي أن نعتبر خوض مورياك للمجال المسرح عام ١٩٣٧ مجرد تحبط في مجال يجمله أو محاولات مبتدئة في عالم غريب عليه، لأن مورياك كان يمارس النقد المسرحي منذ عام ١٩١٩، وكان حريصاً على أن يشاهد مختلف المسرحيات التي تقدم سواء كانت قديمة أو حديثة، فرنسية أو أجنبية، جدية أو هزلية، شعرية أو نثرية. وقد تناول في نقده القيمة الأدبية للعمل إلى جانب مختلف عناصر الخلق المسرحي. هكذا استفاد مورياك المؤلف المسرحي من تجربته في النقد كما أن تجربة مورياك في المسرح أضفنت مفاهيم جديدة إلى تحليلاته، لم يكن يستطيع أن يدركها لو لم يمارس فعلياً الكتابة للمسرح.

إن فن مورياك المسرحي هو - أولاً وقبل كل شيء - فن الإحساس والحب، فن الحياة؛ بحيث أننا لا يمكن أن نتفهم أعماله إذا نظرنا إليها من الزاوية الشكلية فقط.

يتميز هذا المسرح بأنه يقدم فناً تقليدياً أصيلاً في ثوب عصري من الخطأ إذاً أن ينظر إليه كعمل زائل عفا عليه الدهر، بل يجب أن نشهد له بأنه نقل لنا تمزق الإنسان المعاصر وعبر عن العزلة والقلق اللذين يعاني منهما جيل ما بعد الحرب. والغريب أن مورياك نجح في الوصول إلى المتفرج في شتى أنحاء العالم انطلاقاً من تمسكه ببيئته وإخلاصه لها: «إن ما أدين به ليوردو والحقول المحيطة بها، ليس فقط تلك النفس المعذبة لشخصياتي التي تنتمي لكل العصور ولكل البلاد، بل تلك القصص التي رويتها والتي تحدث في شتى أنحاء العالم» (الإحتفال بالعيد الثمانين لمولد فرانسوا مورياك).

من جهة أخرى، فإن مسرح مورياك يؤكد أن النفس التي تناضل دون الاستعانة بالله إنما تدور في حلقة مفرغة. هناك مواجهة مستمرة بين الخطيئة وهدي الله داخل الشخصية نفسها، وبين الشخصيات بعضها البعض. إلا أن الجمهور يشهد دائماً انتصار العناية الإلهية. فمهما ابتعد الإنسان في طريق الضلال، يعود دائماً إلى الطريق القويم. من هنا، فإن مورياك يعد شاهداً حقيقياً على عصره الذي تتفجر فيه الأزمة البشرية، انطلاقاً من أزمة الإيمان. إن أعماله المسرحية تقدم لنا الملجأ والدواء.

نظرة عامة على مسرح موريالك

مسرح نفسي لكنه أيضاً واقعي.

يدير موريالك ظهره للمسرح الهزلي ويقدم لنا مسرحاً نفسياً واقعياً إنطلاقاً من إيمانه وإحساسه بمأساة الإنسان الداخلية والصراع الكائن داخله. يسلط الأضواء على الشخصيات ونفسياتها، والقلب البشري وأدق خفقاته. هناك من جهة؛ المغرمون بذاتهم الذين يستمدون سعادتهم من عذاب الآخرين، تدفعهم الأنانية وحب الذات، من امثال: كوتور، وفيرلاد. ومن جهة أخرى، الذين يضحون بأنفسهم ويسعدتهم في سبيل الآخرين، من امثال: إليزابيث وأندريه. ووسط هؤلاء كائنات تسيطر عليها العواطف، ويلعب بقلوبها الأمل، وتتطلع للنقاء والكمال، وعادة ما تكون من الشباب لأن الشباب في نظر موريالك يرتبط بالنقاء، من امثال: إيمانويل وماريان.

يعبر هاري فانينج، أحد أبطال مسرحية أسموريه، عن جوهر مسرح موريالك حين يقول: «لقد أردت أن أصبح الشيطان أسموريه. أتعرفينه؟». ذلك الذي يرفع أسقف منازلكم القديمة. ما من شيء في العالم يبدو لي غامضاً مثل أحد منازلكم القديمة بأبوابها ونوافذها المغلقة في ضوء النجوم. كنت دائماً أتحيل قصصاً مجهولة تجري بداخلها...» (أسموريه، الفصل الثاني، المشهد السابع). تلك هي حقيقة مسرح موريالك الذي يرتبط بالشاعر الداخلية ويسعى لاكتشاف الأسرار الخفية داخل الأسوار. ويبدو تأثير مورييس دو جيران وأندريه لافون واضحاً في هذا المجال.

لم ينتهج موريك أسلوب المؤلفين المعاصرين من أمثال سارتر وكامو ويونسكو بل اختار لنفسه مسرحاً متأصلة جذوره في المجتمع الفرنسي وخاصة البرجوازي مندجماً مع الحقائق الاجتماعية والنفسية.

إن مسرحيات موريك تظل حية في ذاكرتنا بشخصياتها المتميزة، وصراعاتها النفسية، وأحاسيسها؛ وليس بالمواقف المشهودة أو بالأحداث المتطورة أو بالمفاجآت المسرحية. وهي تحتفظ بالتفرج منصتاً بل ولاهتاً رغم قلة الأحداث والحركات. ينطبق هذا على كافة مسرحيات موريك.

* * *

ترتبط بعض شخصيات موريك أحياناً فيما بينها بعلاقات مريبة: مدام دو بارتاس وهاري فانينج في اسموريه، مسيو دو فيلاد ولابنته الكبرى في الدين أسىء حبيهم، وبصفة خاصة لور دو لاساسك وأخيها في النار على الأرض.

الجو النفسي العام لمسرح موريك

إن الجو النفسي يتخذ أهمية كبيرة في مسرح موريك الذي يعتمد في المقام الأول على الصراع النفسي للشخصيات التي تعاني من الحرمان العاطفي والإحساس بالذنب؛ عالم حافل بالرغبات المكبوتة.

نجد أنفسنا في أسموريه أمام شخصيات تعاني من الحرمان العاطفي والجنسي : مدام دو بارتاس أرملة شابة وجميلة وهبت

حياتها لتربية أولادها. لكن تضحياتها لا تكفي لملء الفراغ العاطفي الذي تحيا فيه. هذا هو حال إيميلي تافرناس في مرور الماكر؛ امرأة تعيش في عالم منعزل تماماً عن عالم زوجها، وتحاول أن تعوض حرمانها بالسيطرة الفكرية التي تمارسها على الفتيات الشابات. لكن بلا جدوى. كذلك فإن ماريان في الذين أسيء حبهم تعاني من الحرمان بعد أن فقدت أمها وهي بعد صغيرة وأساء والدها معاملتها؛ حتى حينها إلتقت بالحب لم تنجح في اجتذاب حبيبها أو حتى استمرار عطفه. اما لور دولاساسك فتفترسها الغيرة ويعصف بها الحقد بعد أن تجاهلها أخوها الذي أوقفت حياتها وسعادتها عليه.

لكن أقسى أنواع الحرمان التي يتعرض لها أبطال مورياك هو دون شك الحرمان من الله. لأن الإستسلام للرجبة الحسية يعتبر تعدياً على حب الإنسان لربه وإيمانه به. يقدم مورياك - من خلال مسرحياته - تحليلاً عميقاً لنفسية شخصياته، وينفذ إلى أعماقها لكي يخرج المشاعر والرغبات الكامنة اللاواعية: مدام دو بارتاس توهم نفسها بأن أحاسيسها تجاه فانينج ليست سوى شعور بالأمومة. اما مسيو كوتور الذي طرد من المدرسة الإكليريكية لتأثيره السيء على زملائه، فقد استغل منصبه في منزل دو بارتاس لكي يسيطر على قلوب وحقول المحيطين به؛ مدعياً لنفسه أنه يؤدي رسالة سامية في مجال التوجيه الفكري لأفراد العائلة. كذلك فإن لور دو لاساسك تخفي عاطفتها المتسلطة المدمرة تجاه أخيها وراء ستار من التفاني وإنكار الذات.

* * *

يستند فن مورياك المسرحي إلى تلك الصراعات والمواجهات بين الشخصيات الضعيفة والشخصيات القوية. أحياناً تكون هذه الاختلافات موجودة داخل الشخص نفسه. وغالباً ما ينشأ هذا الشد والجذب من الصراع القائم بين الفضيلة والخطيئة. إن هذا التناقض الداخلي هو أهم ما يميز شخصيات مورياك: صراع دائم بين الخير والشر، الروح والجسد. فهو يؤمن بأن «هناك دائماً داخل أسوأ النفوس بعض عناصر الصلاح الذي كان يمكن أن يتميز به» (الأعمال الكاملة الجزء الثالث - الملائكة السوداء ، وقد أوضح سيسيل جينكنز في كتابه «مورياك» أن مورياك اختار «أن يعرض مأساة الإنسان بعيداً عن ربه بحيث يفرض على المتفرج فكرة حاجته الملحة إلى الله» (مورياك - ص ١٠١).

إن ذلك التناسخ أو التزاوج الداخلي يشكل الحقيقة البشرية في نظر مورياك وبالطبع فإن المؤلف ذاته ليس مستثنى من هذه القاعدة. فقد أكد أن أعماله ليست إلا إنعكاساً «لقلبه وجسده» (البلوك - نوت ١٩٦١ - ١٩٦٤، ص ٤٠١). لا يعني هذا أن مورياك يقدم شخصيات مصابة «بالشيزوفرينيا» أو ازدواج الشخصية ، لأن الحياة مليئة بالتناقضات تجدد دائماً وحدتها في الإيمان بالله.

مورياك مؤلف مبدع استقى وحيه من الحياة

تعتبر هذه الشخصيات أبناء طبيعيين لمورياك، وريث الثقافة المسيحية البرجوازية الريفية. وهي تعكس طفولته وشبابه اللذين «لم يشفى منها قط» (فرانسوا مورياك - مجموعة «جيني إي ريثاليتي» ص

٣٠)، كما أنها تعبر عن مفهوم موريك عن العالم من حوله؛ ذلك المجتمع الصاخب - الذي عرفه موريك من خلال الصالونات الأدبية والحانات - وأحبه لكنه ظل يقاومه.

إن المسيحيين - الذين وصفهم موريك - ليسوا بقديسين. لكنهم لا يستسلمون لشهواتهم. فهناك تيار إنساني وروحي يوازن داخلهم القلق بالأمل، وقسوة القدر برحمة الإله. إن كل البشر مذنبون بصورة أو بأخرى في نظر موريك. إذاً فليست هناك جريمة لا تغتفر. وينبغي أن ننظر من هذه الزاوية إلى جريمة تيريز ديسكيرو والعلاقات الشاذة في «الذين أسىء جهم» و«النار على الأرض». هكذا يصور موريك الأحاسيس والعواطف البشرية ويحدثنا عن أنفسنا ويكشف داخلنا أبعاداً جديدة. «إن المتفرج يتعرف - من خلال عالم المسرحية - على عالمه الخاص». (موريك بقلم سيسيل جينكنز . ص ١٠٢).

يحتل المسرح مكانة متميزة في مجموعة أعمال موريك، حيث يجسد بصورة ملموسة النزاع بين العواطف المتمكنة أو المكبوتة وهدي الله بصورة أصيلة تبرز كافة تناقضات الإنسان. لقد تعود موريك منذ الصغر على اختبار النفس الذي سبق الإعتراف ويلقي الضوء على الخطيئة. لذا اعتاد أن يصور الخد. لكن الإنسان المخطيء - في مسرح موريك - يدرك تماماً أنه انتقل من الخير إلى الشر، وخاض في بحر الظلمات. إن شخصيات موريك تؤثر فينا بصورة خاصة لأنها في مهب العواطف مثل الكائنات الحقيقية؛ الأمر الذي يجعلنا على وصف مسرح موريك بالمسرح الواقعي. وغالباً ما تكون هناك شخصية مسيطرة تحاول فرض نفسها على الآخرين. مسيو كوتور، مسيو دوفيلاد، إيميلي تافرناس ولور دولاساسك. إلا أن القدر له الكلمة

الأولى والأخيرة في تحديد مصير هذه الشخصيات التي كانت تمسك في أيديها بزمام مصير الآخرين . وقد كان هذا سبباً في اتهام شخصيات مورياك بالعبودية والتبعية . لكن الواقع أن تدخل القدر في حياتنا لا يلغي دور الإرادة فالإنسان حر في اختيار تصرفاته في نفس الوقت الذي يلعب فيه القدر دوره . وينطبق هذا على شخصيات مورياك .

إن مسرح مورياك صدىٌ لمسرح راسين . وإننا لنجد نفس هذه الشخصيات الحائرة المعذبة التي تستسلم في النهاية لمصيرها في «فيدر» أو أندروماك . وقد كتب مورياك نفسه : «إن أول عمل رائد لراسين : أندروماك، يعلمنا أن الشيء المحبوب لا يمكن الوصول إليه» (كونفرنسيا - ص ٢٩٩) . هذا هو مفهوم الحب في مسرح مورياك ؛ حب ينتهي دائماً نهاية حزينة ، فإما أن يكون من طرف واحد : مدام دو بارتاس ، أو أن تحول الظروف دون تحقيقه : إليزابيث ، أو أن تشويه مشاعر آثمة لا يمكن أن تحقق السعادة : إميلي .

من القصة إلى المسرح

بدأ مورياك حياته المسرحية الفعلية منذ ١٩٣٧ . وحينئذ تساءل الجميع عما إذا كان هذا الروائي - الذي وصل في مجال القصة إلى أبعد مدى - يمكن أن يحقق مثل هذا النجاح في المسرح . الواقع أن قصص مورياك مثل صحراء الحب أو تيريز ديسكيرو كانت تحوي من الحوار ما يناسب المسرح ويتلاءم مع متطلباته .

بالإضافة إلى ذلك ، فإن أصالة الجوال العام لقصص مورياك وواقعية شخصياته - التي تتنازعها الصراعات الداخلية - تهيؤه للكتابة للمسرح .

من جهة أخرى ، اكتسب مورياك خبرة هائلة في مجال المسرح من

خلال ممارسته للنقد المسرحي منذ سنة ١٩١٩.

إن من أهم ما يميز الكتابة للمسرح - في نظر مورياك - أن «المؤلف يظل السيد الأورء لعمله. هو وحده يتحمل مسؤوليته. أما في القصة، فإن كل قارئ يشوه أو يبني على طريقته القصة التي يقرأها» (آخرون وأنا - وأنا - النار على الأرض).

نقل مورياك إلى المسرح عذوبة أسلوبه القصصي ومناخه الفكري والروحي والمادي، بحيث لا نستطيع أن نفصل عمله القصصي عن إنتاجه المسرحي: نفس الشخصيات، نفس الديكور، نفس التحليلات النفسية العميقة، نفس الإطار البرجوازي. وقد استعان مورياك بنصائح صديقه إدوارد بورديه للتكيف مع عالم المسرح.

هذا لا يمنع أن مورياك خلق شيئاً جديداً بانتقاله إلى المسرح. فحتى هذا الحين، كان الروائي يختلط بشخصياته، ويتحدث باسمها أو تعبر هي عن آرائه. أما في المسرح، فقد صمت وترك أبطاله يتحدثون ويتصرفون بحرية. وإذا كانت أول تجربة له على المسرح تقترب كثيراً من القصة فإن مسرحيته التالية ابتعدت عن الرواية واعتمدت فقط على التكنيك المسرحي.

شخصيات مورياك المسرحية:

تنتمي شخصيات مورياك المسرحية إلى الطبقة البرجوازية التي تسكن الريف وترتبط بالأرض. تلك الطبقة التي عرفها مورياك عن قرب. وجدير بالذكر أن هذه الشخصيات لا تندمج في الحياة الاجتماعية أو السياسية فنحن لا نعرف شيئاً عن نشاطها وعلاقاتها. يعبر مورياك - من خلال مسرحه - عن موقفه المناهض لهؤلاء الذين

يتمون لوسطه ويثته بسبب تمسكهم بالملكية والثروة واعتراضهم على كل فكرة جديدة وكل خطوة في سبيل التطور.

وقد أعاد موريك تقديم بعض شخصياته الروائية في مسرحياته: شخصية مسيو كوتور تشابه كثيراً مع بير جورناك، كما أن إميلي تافرناس تذكرنا ببريجيت بيون.

ودائماً ما نجد وجهاً لوجه الشخصيات الطاهرة والشخصيات الملوثة، الشخصيات المسيطرة والشخصيات التابعة، لكن أبطال موريك الذين يستسلمون للخطيئة ويقتربون الإثم يحملون بالنقاء، ولا تغفل ضمائرهم عن التطلع إلى الحق والخير والعدل. وهم يستشعرون الندم كلما ارتكبوا فاحشة، فالله موجود في أرواحهم. ربما كان هذا هو بريق الأمل الذي يسطع في سماء موريك فينقذ أعماله من القتامة واليأس.

وبصفة عامة فإن عدد الشخصيات محدود ويكاد يقتصر على الشخصيات الرئيسية، أما الأدوار الثانوية فهي نادرة.

شخصيات أسمودية:

مسيو كوتور:

الشخصية الرئيسية التي تدير دفة الأحداث. استضافته مدام دو بارتاس معلماً لأطفالها ومديراً لشؤونها بعد أن طرد من المدرسة الإكليريكية بسبب تأثيره السيء على المحيطين به. وهو يحاول استغلال مقدرته العقلية في فرض سيطرته على تلك العائلة بدون رجل، حيث سيدة المنزل أرملة والأولاد لا زالوا صغاراً. يقع كوتور في حب الأرملة الشابة، فيحاول أن يجعل من نفسه شيئاً ضرورياً في حياتها. لكنها

تعامله بتعالٍ وتُنظر إليه كمستخدم عندها وليس كصديق .

يدعي كوتور أن هدفه خلاص الآخرين ، وينتهي بتصديق ادعائه .
وينجح في السيطرة على معلمة الأطفال ، بل ويرتبط معها بعلاقة آئمة ،
ثم يتفنن بعد ذلك في تعذيبها . ولا يتورع عن التجسس على كافة أفراد
المنزل للإطلاع على شؤونهم الظاهرة والخفية . لا يكفي كوتور
بذلك ، بل يحاول الإيقاع بين الأم وابنتها وإشعال الغيرة في قلب كل
منها .

كان معظم النقاد غاية في القسوة تجاه الشخصية الجبارة ، المسيطرة ،
المليئة بالتناقضات . إلا أن كوتور ليس شرأكله ؛ فهو جلاذ لكنه أيضاً
ضحية . ضحية بيئته المتواضعة خاصة وهو يعيش وسط هذه العائلة
الثرية العريقة ، ضحية شكله الذي لا يمت بصلة لحسن المظهر . إنه
يحاول تعويض إحساسه بالنقص عن طريق فرض سيطرته على هؤلاء
الذين يتمتعون بما يفتقده . وحين عرف الحب ، عرف العذاب والغيرة
والألم . إنه يستحق العطف بقدر ما يثير الإشمئزاز .

يذكرنا كوتور بشخصية تارتوف الشهيرة التي خلقها موليير للمسرح
قبل ذلك بأكثر من قرنين .

مدام دو بارتاس

إمرأة جميلة في الأربعين . توفي زوجها وهي في سن الثلاثين فوهبت
حياتها لتربية أولادها الأربعة وإدارة ممتلكاتها . وهي ثمرة متطورة
للبرجوازية القديمة ؛ تحب ممارسة الرياضة ، والتمتع بالمناظر الخلابة ،
والقراءة لكبار الأدباء . لكنها تعاني من الحرمان العاطفي ؛ فهي لم
تعرف الحب حتى مع زوجها . لذا تقع سريعاً تحت تأثير شاب إنجليزي

- في سن إبنا - جاء يقضي الإجازة في منزلها . وتلاحظ بكل القلق تلك العلاقة التي بدأت تنمو بينه وبين ابنتها إيمانويل . ويجعل الحب منها كائناً ممزق القلب ضعيفاً . لكنها لا تستسلم بسهولة لمشاعرها بل تقاوم نفسها بكل ما أوتيت من قوة وعزيمة . وتنتصر في النهاية على الضعف والرغبات . فتدعن للواقع ، وتزوج ابنتها لحبيبها . وتبقى هي ، بمنزلها الكبير، تشعر بالوحدة والعزلة وسط المحيطين بها .

إيمانويل

تمثل إيمانويل /سبعة عشر عاماً/ الملاك الأبيض الذي يقابل الملاك الأسود/كوتور/، كما هي العادة في أعمال مورياك . فهي تجسد النقاء والطهر والبراءة . هي وحدها تحس بمعاناة معلمتها - التي تبكي حبها الضائع - وتحاول التخفيف عنها . وحين تلتقي بالحب، تحشى أكثر ما تحشى أن يؤثر حبها لفانينج على حبها لله . وتتساءل: «هل السعادة مباحة؟» . . . وهل هذا هو الشر؟» نفس التساؤلات التي تعذب أبطال مورياك كما تؤرق جيل ما بعد الحرب .

هاري فانينج

هاري شاب إنجليزي في العشرين . يسوى التنس وشرب «الويسكي» وتعلم الفرنسية . وهو «دون جوان» المسرحية . تقع في غرامه كل من الأم وابنتها . الأمر الذي يسعده ويمتعه ، فهو مولع بممارسة سحره على النساء .

المعلمة

الضحية المعذبة لكوتور . هي الوحيدة القادرة على فهمه نظراً لتجربتها المريعة معه . وقد رسم مورياك هذه الشخصية لإبراز معالم

شخصية كوتور وإلقاء الضوء على عيوبه . سنلتقي بنفس هذا الدور فيما بعد في قصتي الحمل و جاليجي .

شخصيات مسرحية الذين أسىء حبهم
ينطبق عنوان المسرحية على أبطالها الأربعة: سيودو فيرلاد
واليزابيث وماريان وآلان .

مسيو دوثيرلاد

يهوى السيطرة على غرار مسيو كوتور . تتحكم فيه ملذاته ورغباته .
ويضحى دون تردد بسعادة ابنته الكبرى لكي يجعل منها ممرضته
ومرافقته . وهو أحد الذين أسىء حبهم حتى من هذه الابنة التي
أصبحت تتصرف بدافع من الواجب ويحكم العادة أكثر من شعورها
بالعطف أو بالحنان . إنسان أناني ومستبد هجرته زوجته وفرت مع
عشيقتها فتمادى في طريق الفساد . وهو - على عكس جميع شخصيات
موريالك - لا يعاني من أي صراع داخلي أو أزمة ضمير . إنه صورة
أخرى من «جينيتريكس» ، تلك الأم المستبدة الأنانية .

يجد المتفرج نفسه في حيرة إزاء مشاعر ذلك الأب تجاه ابنته
الكبرى . تلك المشاعر التي توحى بالشذوذ رغم أن المؤلف ينفي ذلك
تماماً .

إليزابيث

أسىء حبها من والدها ومن حبيبها الذي تصرف تجاهها كطفل
تلعب به النزوات . ربما كانت أكثر الشخصيات تعقيداً في المسرحية .
إنها تمثل التضحية والواجب ، أو الملاك الأبيض . كان عليها أن تتخذ
القرار الذي يتوقف عليه مصير ثلاثة أشخاص : والدها وشقيقتها

وحبيبها. واختارت - بعد معاناة - ذلك القرار الذي يسعد والدها وشقيقتها.

لقد رضيت بالتضحية لكنها ظلت تشعر بالحرمان والوحدة والتمرد.

ماريان

أسيء حبها بل وأسيء فهمها من جميع المحيطين بها. إنها إنسانة بسيطة ونقية، تتصرف بصورة تلقائية. لكنها ليست سطحية، فهي تعلم جيداً أنه «ما من شيء ضروري في هذا العالم مثل أربعة جدران يستطيع الإنسان أن يبقى وحيداً بينها» (الذين أسيء حبهم - الفصل الأول - المشهد الثاني).

إنها تتألم لأن الجميع يسيئون معاملتها وخاصة والدها. وتفشل حتى في اجتذاب الإنسان الوحيد الذي وهبته قلبها.

آلان

أسيء حبه هو أيضاً من مسيو دو فيرلاد، بل وربما من إليزابيث التي تبدو مشاعرها تجاهه غير مقنعة. لكن الله وهبه حب ماريان المخلصة.

والغريب أن هذا الشاب الذي يتنازع قلب الشقيقتين لا يتمتع بأي صفة تميزه. فشخصيته ضعيفة وأغراضه غير مفهومه؛ يحاول الإيقاع بماريان في حين يتطلع إلى إليزابيث. ربما كان سر ارتباط الشقيقتين به أنه الشاب الوحيد الذي تحتلطان به. وتعرفانه عن قرب في ذلك المكان المنعزل الذي تعيشان فيه.

سيعيد مورياك - في نهاية حياته - تصوير تلك العلاقة بين إليزابيث

والان في قصته مراهق الأمس . ومن جهة أخرى ، فإن شخصية آلان تذكرنا بروبرت كوستادو في طرق البحر .

روز

تؤدي دور الصديقة المصاحبة للبطل . وهي لا تظهر سوى في الفصل الأول لكي تطلعنا - بأسلوب غير مباشر - على الأحداث والمعلومات الضرورية لفهم القصة .

شخصيات مسرحية مرور الماكر
إيميلي تافرناس

شخصية «معقدة للغاية» كما ذكر مورياك في صحيفة نوفال لتييرير في (٢٠-١١-١٩٤٧) . تنتمي إيميلي لسلالة الشخصيات المسيطرة . وهي تدير مدرسة داخلية لتربية وتثقيف الفتيات الشابات .

إنها تمقت كل ما يتعلق بالجسد أو الحس . حتى أنها لم تقبل أبداً معاشرته زوجها الذي يتصف بشخصية ضعيفة منقادة لأمه . وفجأة تجد تلك المرأة نفسها أمام رجل من طراز «دون جوان» ، ساحر النساء . تحاول أن تقاومه لكنها تفشل . أما هو ، فلأول مرة يعرف الحب الحقيقي الذي يطهره ويرفع به .

لكن إنسانته من هذا الطراز لا يسمح لها بالتمادي في عواطفها . هكذا تفيق إيميلي ، لكنها تدرك تماماً الحرمان الذي سيحكم عليها به

وخاصة بعد أن ذاقت طعم الخطيئة ولو لمرة واحدة .

برنارد لوساثر

يذكرنا الصراع بينه وبين إيميلي بصراع القوى العظمى المسيطرة .
وقد نجح كل منهما في ممارسة تأثيره على الآخر: هي بتأثيرها الفكري ،
وهو بمفهومه الحسي . وسيظل ظلها يلاحقه حتى النهاية .

والغريب أن هذا الماكر يستدر عطفنا في نهاية المسرحية بسبب تلك
العاطفة التي أضاعت قلبه ، وعجزه عن الوصول إلى السعادة .

فرناند

نموذج للزوج الضعيف المنقاد . يتأرجح تحت تأثير سلطتي أمه
وزوجته . إن فرناند نتاج طبيعي لتربية الأم المسيطرة . وهو لا يثير أي
شعور بالعطف أو الرثاء ، بل يبعث على الإشمئزاز .

هذا الرجل ليس غريباً على أعمال موريك . فهو صورة من زوج
تيريز ديسكيرو ومن فرناند ابن جينيتريكس . إنه عاجز عن اتخاذ قرار
أو القيام بعمل ما ، ويكتفي فقط بالخضوع لتأثير الآخرين .

إيرما تافرناس

والدة فرناند المتسلطة التي تخنق ابنها بسيطرتها وملاحقتها . وقد
تردد هذا النموذج في معظم أعمال موريك ، كرد فعل لطفولته التي
سادت فيها النساء . إنها امرأة تقتلها الغيرة من زوجة ابنها ، إلى الحد

الذي تدفعها لتدبير حيلة لتشويه سمعتها والتشهير بها . وهي تمارس التجسس تماماً مثل جينيتريكس . والفارق الوحيد بينهما يمكن في شخصية زوجة الابن؛ ذلك أن إيميلي تتمتع بشخصية قوية فلا تأبه بحمايتها، في حين كانت جينيتريكس السبب الرئيسي في تدمير حياة زوجة ابنتها ماتيلد .

شخصيات مسرحية النار على الأرض لور دو لاساسك

شخصية تنتمي بكل أصالة لموريك . جمع فيها كل التناقضات : فهي كتومة واثرة، تحمل سلاحها في معركة الحياة لكنها تقف عاجزة أمام عواطفها، وهي لا تعترف بالله لكنها تحتاج إليه في مواجهة أزماتها .

تلقت لور الضربة القاضية حين علمت بأن أخيها تزوج سراً دون أن يخبرها . وعلى أي حال ، فقد فسر لنا موريك نشأة هذه الشخصية : «إن الأخت المحبة التي عاشت دون زوج أو أولاد، مركزة اهتمامها على شقيقها ، لا يمكن أن تصبح سوى أداة تدمير لمصير ذلك الأخ» (آخرون وأنا - وأنا - النار على الأرض) .

لقد تأثر موريك دون شك بشخصيتي أوجينييه وموريس دو جيران وهو يرسم هذه الشخصية .

إن لور هي أيضاً أحد الذين أساء جهم في أعمال موريك .

موريس

يعاني من جراء عاطفة أخته المتطرفة تجاهه ، ويحاول أن يتخلص من تبعيته لها باختيار شريكة حياته بنفسه ، ووضع أسرته أمام الأمر الواقع . إلا أنه لا ينجح بسهولة في مواجهة شقيقته بل ، على العكس ، تنجح هي في زعزعة موقفه لفترة ما وتحويل أنظاره إلى الفتاة «الثرية المكتنزة» . لكنه يستمد القوة والعزيمة من زوجته المخلصة التي تساعد على تخطي عنته .

هل هي علاقة مربية؟

أكد مورياك أنه لا ينبغي أن نشك لحظة في وجود علاقة شاذة بين لور وأخيها . لكن الواقع أنه ألمح إليها بين السطور وخاصة من جانب لور . لقد أحببت شقيقها وصادقته وجعلت منه رفيق صباها ولعبها وأوقفت سعادتها وحياتها عليه . فرفضت أن تتزوج لأن قلبها لم يكن ليسع إنساناً آخرأ . وعلى أي حال ، فإن شخصيات مورياك كائنات حية نابضة تعرف الخطيئة وتتعرض لإغراء الجسد . لكنها تقاوم الشر وتعاني من الشعور بالإثم .

إن مورياك يعرض الشر لكي يقاومه لأنه لا سبيل لأن يتحدى الإنسان ما يجهله .

أما الشخصيات الأخرى فتساعد على إبراز تلك العلاقة :

أندريه :

إنها الملاك الأبيض الذي يقابل الملاك الأسود : لور . وقد وصفها مورياك بأنها «امرأة شابة ، بسيطة ، رقيقة القلب ، زوجة وعاشقة يمكن

آن تجد نساء كثيرات أنفسهن فيها.

أوسمان دو برا دو لاساسك

رب العائلة. إنسان تافه سطحي. نموذج للمساوىء البرجوازية.
لا يتحدث سوى عن اللحم والنيذ والنقود والملكية.

مدام دو لاساسك

صورة من زوجها. لا تلعب سوى دور ضئيل في مجرى الأحداث.

كارولين

فتاة شابة «لا طراز لها». ليس لها أي تصرف إيجابي. وكل ما تفعله
هو أن تتبع إرشادات لور وتخضع لأوامرها المدمرة.

استلهم موريك مسرحياته من نفس العناصر والموضوعات التي
أوحى إليه من قبل بشى أعماله :

١ - الوسط البرجوازي :-

صرّح موريك في جورنال^(١) : « بأنه شغل دائماً برسم رجال
ونساء كما كانوا يبدوون له في الوسط الذي ولد فيه . لذا فليس من
الغريب أن تنتمي شخصيات موريك المسرحية الى الطبقة
البرجوازية . ولا يأتي هذا الإنتماء بصورة شكلية فقط ، لكنه إنتماء
قلباً وقلباً ، يتصل بعادات الشخصيات وتقاليدها وأخلاقياتها
واسلوها من الاحساس والتعبير والتصرف ونمط حياتها ذاته - استطاع
موريك أن يستشف الدراما الحقيقية التي تجعل من الكوميديا
البرجوازية كوميديا إنسانية كذلك .

ومما يميّز برجوازية هذا العصر التي يعكسها موريك في أعماله

حب المنفعة وحب الذات بحيث كانت الزيجات تعقد من أجل المصلحة أولاً وقبل كل شيء .

لذا اتخذ الزواج في مسرحيات موريك صورة غريبة بعض الشيء . فمثلاً مفهوم الزواج عند إميلي في مرور الماكر ليس إلا نوعاً من التلويث الذي لا يمكن تفاديه لذا عاشت دائماً بعيداً عن زوجها تحشى الاختلاط به أو معاشرته .

وينبغي ألا ننسى أن مسرحيات موريك امتدت من ١٩٣٧ - ١٩٥١ أي أنها بدأت من تلك المرحلة المضطربة التي تسبق الحرب وإنتهت أيضاً في نفس الجو الذي يشوبه القلق والاضطراب الذي يعقب الحرب .

وطبيعي أن نجد الاجيال التي تخوض الحرب أو تحس بعواقبها أو آثارها أجيالاً اهتمت أخلاقها واهتمت مفاهيمها .

لذا فإن شخصيات موريك شخصيات ممزقة معذبة حائرة بين صراعات شتى .

وقد اتفق الكتاب من هذا العصر على استنكار نظام العائلة والسلطة العائلية التي اكتسبت قسوة واكتسبت نوعاً من الاستبداد .

ومن هنا حول موريك شخصيتي مسيو ومدام دولاسيك الى صورة بغیضة ولكنها تبعث على الضحك والسخرية .

٢ - العائلة :

لا شك أن العائلة هي أحد العناصر الدائمة والتمكنة من

مسرحيات مورياك بل وأعماله بصفة عامة وتتميز العائلة التي يمثلها مورياك بأنها ذات تركيب واضح ومحدد بل إنها تكاد تكون جامدة متحجرة في نوع من التنظيم الطبقي الدقيق . العائلة تشمل الأم والأب والأبناء والأشقاء والحماة ولكن أكثر من ذلك أيضاً فهي تمثل ماضياً وحاضراً ولقباً وممتلكات .

العائلة تقضي على الفرد ، تحطمه ، تعذبه ، وتفرض عليه سلطتها . وربما يذكرنا هذا المفهوم بمفهوم العائلة عند آنوي في مسرحية كان هناك سجين .

إن العائلة البرجوازية المحافظة تعوق الحرية الشخصية . أما الممتلكات والأراضي فإنها تشكل في نظر هذه الطبقة امتداداً للجنس والنوع . لذا تقف العائلة ضد كل فكرة جديدة مبتكرة وتنغلق على نفسها في نوع من الانانية الكريهة . والغريب أن العائلة في مسرح مورياك هي موطن الكراهية كما هي أيضاً موطن الحب ففي مسرحية النار على الأرض تمثل العائلة المصلحة الخاصة والأنانية . أما في مسرحية أسموريه * فهي موطن الحب والتضحية .

ويقص علينا مورياك في مذكراته الخاصة الجديدة أن النساء كنّ يسيطرن في عائلته لذا تعددت صور النساء المسيطرات في مسرحياته . في مرور الماكر نجد والدته فرناند ونجد إميل تافرناس كذلك . في النار على الأرض نجد لور دولاسيك .

وترتبط شخصيات العائلة بعضها البعض بعلاقات شتى . فهناك مثلاً علاقة الأم بابتنتها التي أحياناً تشوبها الغيرة ولو لفترة كما هو الحال

في مسرحية أسموريه وهناك الأم المسيطرة على ابنها كما في مسرحية مرور الماكر وهناك أيضاً الشقيقتان كما هو الحال في مسرحيتي اللذين أسمي حبهيم و النار على الأرض .

في الأول ، نجد العلاقة علاقة حب وتضحية تشوبها الغيرة بسبب الحبيب المشترك ؛ وفي الثانية علاقة طرف قوي وطرف ضعيف . الطرف القوي يحاول السيطرة على الطرف الضعيف .

أما علاقة الزوجة بزوجها ، فلا شك أن موريك يحترم الحياة الزوجية ، لكنه يبرز لنا الخلافات التي يمكن أن تنشأ بين الأزواج بسبب عوامل خارجة عنها أو بسبب عامل نفسي يتصل بأحدهما كما هو الحال في مرور الماكر .

أما الرجل في مسرحيات موريك فيتخذ صوراً متناقضة فهو تارة إنسان مسيطر ذو شخصية قوية كما هو الحال بالنسبة لكوتور أو فيرلاد وتارة هو إنسان لا شخصية له على الإطلاق خاضع لزوجته أو لأمه كما هو الحال بالنسبة لفرناند في مرور الماكر .

كذلك المرأة فهناك المرأة المسيطرة مثل اميلي أو لور ، وهناك الفتاة النقية البريئة مثل إيمانويل أو أندريه ، وهناك أيضاً الشابة التي لا شخصية لها على الإطلاق والتي تكفي بتنفيذ أوامر الآخرين مثل كارولين .

٣ - الريف :

إن للريف تأثيراً خاصاً على موريك رغم أنه عاش سنين طويلة في باريس ويبدو هذا واضحاً في أعماله المسرحية ، ذلك أن كافة اعماله

تدور في الريف داخل تلك المنازل الكبيرة في أعماق المزارع وسط الكرم وأشجار الصنوبر وأنا لنكاد نشتم رائحة النيذ والصمغ والروم والدخان والحريق الذي اشتعل في الغابة من خلال كافة مسرحياته . وربما لا نجد كاتباً تأصلت كتاباته في تربة موطنه كما كان مورياك بل إن ارتباطه ببيئته وتمسكه بها وتصويره لها كان وراء ذبوع صيته في العالم أجمع ووصوله الى درجة العالمية وحصوله على جائزة نوبل .

وقد ارتبط مورياك ببيئته لأنها تذكره بكل ما يعتز به ويرتبط بنفسه منذ الصغر .

٤ - الطفولة :

كان للطفولة تأثير كبير على مسرح مورياك كما كان لها تأثير على كافة أعماله .

ولد مورياك في ١١ أكتوبر ١٨٨٥ وتعتبر هذه السنة تحولاً في الحياة السياسية والاجتماعية في فرنسا فهي تمثل بداية عصر ونهاية عصر آخر مما كان له أعمق الأثر في نفس الطفل مورياك .

وقد توفي والد مورياك وهو بعد صغير ، لذا تميزت أعماله المسرحية بسيطرة الأم أو على الأقل بابرار دورها نجد مثلاً بطلة اسموريه امرأة أرملة شابة تدير شؤونها وتهب حياتها لتربية اولادها وبطلة مرور الماكر ايضاً امرأة قوية الشخصية تدير شؤون منزلها وشؤون المدرسة بل تكاد شخصيتها تغطي على زوجها تماماً . وفي نفس المسرحية نجد شخصية والددة الزوج التي تتميز ايضاً بالقوة

والسيطرة كذلك في مسرحيته الاخيرة فقد ابرز شخصية الأخت لور التي تكاد تكون المحرك الفعال لكافة شؤن المنزل باختصار فإن دور المرأة في مسرحية مورياك دور فعال حتى ولو لم تكن مسيطرة فإنها هي التي تدفع سير الأحداث كما هو الحال مثلاً بالنسبة لإليزابيث في مسرحية الذين أسيء حبهم كذلك فإن قراءات مورياك في طفولته هي التي انعكست على مسرحياته ونجد تأثير باسكال واضحاً على الشخصيات المسرحية بصفة خاصة في صراعها بين الخير والشر والخطيئة والفضيلة كما نلاحظ كذلك تأثير فرانسيس جيمس وموريس دوجيران .

وقد عاش مورياك عصر ما قبل السينما والتليفون اي أنه عاش عالماً مختلفاً تماماً عن العالم الحاضر وظلت شخصيات مورياك تعكس عالم طفولته وتنتمي لجيل طفولته وعلى أي حال فقد كان مورياك فخوراً بجيله وذكر أن جيله يتميز « ببراء غير عادي » وحين راح مورياك يكتب أولى مسرحياته طلب من المخرج أن يتغنى اطفال المسرحية باغنية خاصة كان يتغنى بها وهو طفل صغير .

ويحتل الطفل مكانة خاصة في مسرحيات مورياك ليس من حيث الكم وأهمية الدور بل من حيث طبيعة الشخصية وتأثيرها فالطفل هو الذي يخفف من مرارة المأساة ويضفي نوعاً من الإشراق والمرح على المسرحية على سبيل المثال مسرحية أسموريه .

ويرتبط الطفل دائماً بالنقاء فالأطفال في مسرحية مرور الماكر يعكسون النقاء وصفاء النفس لأن « حياة الطفولة دائماً مضيئة وشفافة » .

٥ - الموت :

إن فكرة الموت تلاحق شخصيات مورياك وها هو احد الذين أسيء حبههم يصرخ : « يا له من شيء رهيب أن يصل الانسان الى سن الثلاثين ... »

إنني حينها أصل الى هذه السن سوف اقتل نفسي . «

الواقع أن كافة شخصيات مورياك تعيش في خوف دائم من الشيخوخة والموت وإذا كان مورياك يرتبط ارتباطاً شديداً بطفولة فذلك لأنه يجد فيها ملجأ من الموت .

وقد سيطرت تلك الفكرة على مورياك نتيجة الأحداث التي عاشها ذلك أن مورياك ينتمي لجيل مات فيه الكثيرون سواء بسبب أوبئة او بسبب الحرب . فهناك عدد كبير من أصدقائه قتلوا في الحرب كما أن والده كذلك مات وهو شاب .

وربما لا يبدو هذا العنصر واضحاً صريحاً في مسرحيات مورياك لكنه يظهر من خلال بعض المشاهد او التلميحات ، على سبيل المثال ذلك المشهد الذي تمسك فيه ماريان بمسدس والدها او المشهد النهائي في مسرحية النار على الأرض حيث يظن الجميع أن لور قد انتحرت .

٦ - العزلة :

إن العزلة ليست فقط عدواً للإنسان بل هي أحياناً ملجأ وملاداً له .

ماريان تحاول أن تخفف عن والدها معاناته لكنه يرد عليها قائلاً :
 « إن آلامك ليست كآلامي إن الإنسان يتألم وحده » . إن إبطال
 مورياك يعشقون الوحدة والعزلة بل إن نهاية جميع مسرحياته تنصب
 على هذه الفكرة ، فإن البطل أو البطلة يظل في النهاية وحيداً . ولا
 تعني الوحدة هنا أنه يعيش بمفرده ؛ بل ربما كان محاطاً بعدد كبير من
 الأصدقاء أو أفراد عائلته لكنه مع هذا محروم من الشخص الوحيد
 الذي يهيمه أو الرغبة الوحيدة التي كان يود تحقيقها . لذا فهو وحيد
 وقد تحدث مورياك كثيراً عن عزلة الفرد وسط أقرانه .

٧ - الطبيعة :

اكتسب مورياك منذ الصغر الإحساس بالطبيعة ويرجع الفضل في
 ذلك لموريس دوجيران الذي تأثر به مورياك في طفولته . وتمارس
 الطبيعة على مورياك تأثيراً قوياً نلاحظه في كافة مسرحياته . فهذه
 المسرحيات تبرز دائماً كل ما يتصل بالطبيعة التي تكتنفها وتحيط بها ؛
 فمثلاً المناخ الذي تدور فيه وطبيعة الأرض . وهناك دائماً تلميحات
 خاصة بالغابات أو أشجار الكرم أو الرمال أو الحدائق وما إلى ذلك
 من عناصر الطبيعة . كذلك الألوان والأصوات والروائح . إن
 الطبيعة تبدو كسيمفونية جميلة في اعمال مورياك منسجمة ومتألفة
 وهي ليست مجرد طريقة لإحاطة المسرحية بديكور معين ، بل على
 العكس فإنها تتفاعل مع الأحداث وتؤثر عليها وتتأثر بها وتتفاعل مع
 نفسية الشخصيات . فمثلاً في مسرحية النار على الأرض حيث
 تعصف العواطف بلور وتمزقها الغيرة ، ترتفع حرارة الجو وتشتعل
 النيران في الغابات وهكذا.

وربما كانت أكثر فصول السنة ملائمة لأعمال موريك المسرحية هو فصل الصيف بحراراته الخانقة ولياليه الندية بعض الشيء وشمسه الحارقة .

وقد صرح موريك بأن « الموضوعات المشتعلة هي مجال تخصصه » . وليس أدل على ذلك من أن عنوان مسرحيته الأخيرة كان النار على الأرض .

٨ - الحب والعاطفة والتضحية والتقاء :

إن الوجود عند موريك هو الحب فالإنسان ليس له وجود إذا كان غير محبوب . والحب والعاطفة الجياشة والرغبة والشهوة تتكامل في مسرحيات موريك . لا شك أن هذا العنصر هو أهم عناصر مسرح موريك الذي يعتمد أساساً على أحاسيس الشخصيات وعواطفها وصراعاتها الداخلية .

لكن الحب عند موريك يرتبط دائماً بالآلام فهو لا ينتهي ابداً نهاية سعيدة وهو مبعث الصراع ومبعث الشجن حتى إذا توفرت للشخص أسباب السعادة ؛ كما هو الحال بالنسبة لإيمانويل في مسرحية أسموريه . وقد عرف موريك الحب عام ١٩١٩ ولكن قصة حبه لم تكتب لها نهاية سعيدة .

وانعكست تجربته على أعماله بصفة عامة ومسرحياته بصفة خاصة . الحب عند موريك ليس هو الحب الروحاني البحت ، ولكنه الحب بكل معانيه : الحب الحسي والروحي .

بل إن الحب يتخذ أحياناً صوراً شاذة حينما تزداد العلاقة توطداً

بين الأب وابنته او بين الأخت وشقيقها فتبعث على الشك ويشوبها شيء من الشذوذ .

و يبحث بطل موريك عن السعادة في الحب من خلال المتعة . لكن المتعة الحسية لا تحقق الراحة والرضا بل غالباً ما تكون مبعث الشقاء . ذلك أن الحب عند موريك مرتبط بالحياة الروحية والدينية فالإنسان لا يجد الراحة سوى في الإيمان والنقاء . ويبرز مفهوم الحب عند موريك في مسرحية مرور الماكر حيث تمثل إيميلي المفهوم الروحي ويمثل برنارد المفهوم الحسي . وبعد صراع طويل تسقط فيه إيميلي لفترة في هذه اللذة الحسية ينتصر المفهوم الروحي . ويذكرنا الحب بمفهوم الرومانسية كما هو الحال في مسرحية الذين أسيء حبهم حيث ينتج الحبيبان ويرفضان معاً الوقوع في برائن الشهوة .

وقد تناول موريك كافة أشكال العواطف والأحاسيس كما تناولها على مختلف المستويات ابتداء من المراهقة حتى سن النضج . ويرتبط الحب دائماً بالتضحية والمعاني النبيلة السامية - اليزابيث تعجز عن تحقيق سعادتها وتفضل بجلء إرادتها أن تضحي بحبها في سبيل سعادة الآخرين .

٩ - الصراع بين الخطيئة والفضيلة :

يرتبط هذا العنصر بالعنصر السابق وهو الحب فالإنسان العاشق تغريه اللذات الحسية لفترة لكنه ما يلبث أن يفضل عليها الملأذ الروحي الذي يجده في رحاب الإيمان .

لقد نشأ موريك نشأة دينية لكنه لم ينج من تلك المخاوف وذلك

القلق الذي يورق الإنسان بصفة عامة ولا ننسى أن مورياك مر بأزمة نفسية ودينية عصفت بحياته لفترة ، لكنه ما لبث أن استعاد إيمانه وثقته وبقينه . وقد انتقلت تلك المخاوف والصراعات والحيرة الى نفس شخصياته لكن مورياك لا يعتقد أن النقاء يستلزم دوماً تجاهل الخطيئة بل إن الإنسان لكي يصل الى طريق الخلاص والرشاد ينبغي أن يعرف الخطأ ويتعرض لإغراء الحياة .

١٠ - الحيرة والحرية والقدر :

إن شخصيات مورياك المسرحية فريسة دائمة للحيرة والقلق فهناك قوى متناقضة تتصارع بداخلها . ويعكس مورياك بهذه المشاعر جيل الحرب وما بعدها ، ذلك الجيل القلق الحائر . ويعتقد مورياك في وجود قيم روحانية وإنسانية تنقذ الإنسان من حيرته وقلقه .

أما مفهوم الحرية عند مورياك ، فقد كان موضع جدل ونقاش لأن شخصياته المسرحية اتهمت / تماماً مثل شخصياته الروائية / بأنها لا تملك الحرية على التصرف بذاتها . والواقع أن هذا الإتهام ليس له أساس من الصحة ، بدليل أن شخصيات مورياك رغم وقوعها في الخطيئة وتعرضها لإغراء الجسد وإستسلامها للقدر والمصير فلمإنها في النهاية تختار طريق الخلاص وتقاوم الشر بسلاح الإيمان . وعلى أي حال فإنه من الغريب أن ننسب إلى مورياك خلق شخصيات مستسلمة ، منقادة ، سلبية ، لأنه أمضى حياته في لدفاع عن الحرية والدفاع عن الإستقلال في كافة الصور والمعاني ، وعلى الصعيد الروحي والاجتماعي والسياسي .

التكنيك المسرحي لموريك

شرح موريك كيف أتى الى المسرح . فذكر أنه كان ذات ليلة يستمع الى موسيقى دون جوان لموزار فشعر بالرغبة في الكتابة للمسرح وشرع في كتابة أولى مسرحياته .

لكنه لم يكتب سوى فصل واحد وتوقف ، حتى طلب منه إدوارد بورديه الذي كان مديراً للكوميدي فرانسيز حينئذ أن يقدم له مسرحية ، فراح يكمل خطوط وتفاصيل أسموريه .

لم يبدأ موريك حياته المسرحية إلا بعد أن تمرس في عالم القصة ولمع اسمه واشتهر . وقد أتاح التكنيك المسرحي لموريك أن يبرز حركات ومواقف الشخصيات ونواياهم ورد الفعل عندهم وخاصة وهم يتربصون لبعضهم البعض ويمارسون نوعاً من التجسس والتلصص .

وأحياناً يؤدي هذا التلصص الى مفاجأة مسرحية تضيفي نوعاً من الحيوية والإثارة على المسرح ، فمثلاً في نهاية الفصل الأول من مسرحية أسموريه تفاجأ مدام دي بارتاس وفانينج الشاب بصوت شيء يرتطم بالأرض . وحين يذهبان لمشاهدة ما حدث يجدان مسيو كوتور الذي كان يتلصص عليهما وقد سقط فجأة حين سمع رأي مدام دي بارتاس فيه وانتقاداتها وسخريتها منه .

كذلك في مسرحية الذين اسيء جبههم فإن مسيو دي فيرلاد يصرح « بأن ما من شيء يجري في هذا المنزل الا ويكون على علم به » .

وفي مرور الماكر تتعدد مثل هذه المواقف : مثلاً حينما تتجسس إيرما على زوجة ابنها وحينما يفاجئ الجميع إميل تافرناس في حجرة نومها فيتعلق عشيقها في الشرفة . وتتعدد المواقف من هذا القبيل ، وتدور الأحداث عادة في نفس البيئة التي اعتدنا عليها مع موريك . أما بالنسبة لتركيب المسرحيات ، فيتميز بالكلاسيكية ويكاد يشبه المسرحية الكلاسيكية لراسين فالفصل الأول يحتوي على المشاهد التي تعرض الموقف وتنبئ بالأحداث ، كما تذكر للمتفرج المعلومات اللازمة لفهم الأحداث التالية . أما الفصول التالية فهي تعد للعقدة التي تنفجر فجأة . ثم يأتي الحل مع الفصل الأخير ، وغالباً ما يأتي الحل على الصعيد النفسي . ومن السمات المميزة لمسرحيات موريك الأربعة رحيل الشخصيات ثم عودتها المفاجئة : فمثلاً مسيو كوتور يرحل في ثورة غضب ثم يعود فجأة ، كذلك اليزابيت تفر هاربة مع آلين لكنها لا تلبث أن تعود ، وإميل تافرناس ترحل دون أن نخبر أحداً لكنها تندم على فعلتها فتقرر العودة ، وفي النار على الأرض ترحل لور ، ويظن الجميع أنها انتحرت ، لكنها تعود على غير ما يتوقع الجمهور .

إن مسرح موريك ليس بالطبع قمة أعماله لكنه ولا شك يحتفظ بمميزات كبيرة ، وبطابع خاص ، وبأصالة يفقدها المسرح بصفة عامة في هذه الحقبة .

يتميز مسرح موريك بأنه لا يعقد أهمية كبيرة على غرابة الأحداث وسرعته ، بل يشد انتباه المتفرج بمجرد الصراع النفسي للشخصيات ، وما يترتب عليها من إنفعالات وتصرفات ، وبصدق

الأحاسيس والتعبير .

ونشعر من خلال الصراع المستمر الذي يمزق ابطال المسرحية بأنهم كائنات حية تعاني وتتألم مثل الإنسان العادي .

مونت فيج اول مسرحية لم تعرض :

إذا كان مورياك لم يعرض أولى مسرحياته سوى عام ١٩٣٨ فقد كتب للمسرح في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى مباشرة مسرحية اطلق عليها مونت فيج ، وذلك بالإشتراك مع جاك اميل بلانش خلال فترة قضوها معاً في أوفران فيل . وقد تحمست الممثلة الكبيرة ريجان لهذه المسرحية واعتبرت مورياك أحد كبار كتاب المسرح . لكنها أصيبت بخيبة الأمل لأنها رفضا أن يعرضا هذه المسرحية والتي كان من المقرر أن يلعب دور البطولة فيها أمام ريجان الممثل لوسيان جيديريه .

أسموريه مسرحية ذات تركيب كلاسيكي :

في عام ١٩٣٧ قدم مورياك أولى مسرحياته التي ترتبط بكثير من أوجه الشبه مع قصصه . وهي مسرحية من خمسة فصول ، وتتبع القواعد الأساسية للمسرح ، ويتميز موضوعها بالتشويق والصدق ؛ بل يرتفع الى مستوى صحراء الحب . فالفصل الأول يعرض للأحداث ويجهد لها فنلعم أن مدام دي بارتاس هي ارملة جميلة شابة ، تعيش في منزلها ، وتربي أولادها . وأن كوتور يعمل معلماً لأولادها ومديراً لشؤونها وتعاونه مدرسة للأولاد ، ويصل الإنجليزي الشاب صديق الابن الأكبر لمدام دي بارتاس كي يقضي

شهرين في ضيافة العائلة . هكذا نجد أنفسنا في نهاية الفصل الأول على علم بكل أفراد المنزل وما يجري فيه .

وفي بداية الفصل الثاني نشهد وصول الشاب فايننج الذي يجتذب إعجاب كل من الأم والإبنة . ويثير كذلك كراهية مسيو كوتور . وتتفاقم الأزمة في الفصل الثالث من خلال الصراع بين فايننج وكوتور فكوتور لا يحتمل ذلك التأثير الذي يمارسه هاري على مدام دي بارتاس وابتتهام ومحاول اقناع ربة المنزل بأن تبعده وتتركه يرحل .

وفي نهاية الفصل الثالث نجد الجميع في حالة حيرة وقلق فمدام دي بارتاس تحب هذا الشاب حباً يائساً وترفض أن تعترف بذلك أو أن تواجه نفسها بالحقيقة . ومسيو كوتور يعاني من الغيرة ومن تجاهل مدام دي بارتاس له . أما إيمانويل فيعذبها حبها لهاري الذي تخشى من تأثيره عليها وتخشى أن يؤثر على حبها لله . وفي الفصل الرابع يرحل مسيو كوتور فجأة بعد أن يستمع الى حديث بين مدام دي بارتاس وفايننج ويكتشف تجاهل مدام دي بارتاس له .

في الفصل الخامس يعود مسيو كوتور ، وتقرر مدام دي بارتاس التخلي عن حبها . وتفضل عليه سعادة ابتتها ، وتبقى وحيدة في منزلها رغم أنها محاطة بالكثيرين .

وهكذا تولد القصة من خلال معاناة الشخصيات والعلاقات التي تربطها بعضها البعض ويبدو الحب السيد الأعلى من هذا المسرح . والواقع أن موضوع المسرحية قد نال إعجاب الكثيرين آنذاك . إن مورياك لم يسعى لتغيير أسلوبه او عالمه ، بل على العكس

تمسك بكل ما يميزه . وحاول أن يبرز الجانب المساوي للحياة ، وأن يخفف من هذه المرارة والقسوة بإدخال بعض الأطفال في الأحداث . لكنه صرح بأنه لم يأت بشيء جديد بالمعنى المفهوم : « لكنني من هؤلاء الذين يحبون وضع النبيذ الجديد في زجاجات قديمة . » .

وربما كان هذا هو التعريف المثالي لمسرح موريك وأسلوبه وتكنيكه ؛ فهو يعطي المفهوم والمضمون الجديد في قالب تقليدي فإذا كانت القصة يمكن أن تحدث في أي زمان ومكان إلا أن مشاعر الصراع والحيرة والقلق التي تعاني منها الشخصيات تأثرت كثيراً بظروف الحرب وما بعدها . أما القالب فهو قالب كلاسيكي مائة بالمائة .

ومن أهم ما يميز مسرح موريك التركيز على شخصية رئيسية تحوم حولها الشخصيات الأخرى وترتبط بها . والشخصية الرئيسية هنا هي مسيو كوتور وربما ساعدته على انتهاج هذا الأسلوب نصائح إدوارد بورديه صديقه الحميم .

وقد صرح كويو بأن موريك كان يحرص على حضور البروفات وكان يبدو صبوراً وعلى استعداد للتعلم والاستفادة .

وقد أعيد عرض مسرحية أسموريه عام ١٩٤٤ . وبالطبع كان هناك تغيير في الأدوار ، لكن مضمون المسرحية لم يتغير . وكانت إعادة عرض هذه المسرحية حدثاً فنياً ضخماً وقد حضرها عدد كبير من الشخصيات السياسية المعروفة والكتاب ومن بينهم جورج دوهاميل وإدوارد بورديه وروبرت كامب .

التركيب المسرحي للذين أسيء حبهم :

عرضت هذه المسرحية للمرة الأولى على مسرح الكوميدي فرانسيز في اول مارس عام ١٩٤٥ . وحاول موريك من خلال الفصول الثلاثة لمسرحيته أن يتخلص من التكنيك القصصي ، وأن ينطلق في مجاله الجديد . وتدور هذه المسرحية حول عائلة هجرتها الأم حيث فرت مع عشيقها تاركة ماريان التي كانت لا تتعدى ثلاثة اعوام واليزابيث ستة عشر عاماً وزوجها ذلك الضابط السابق في الجيش . ويحيط بهذه المسرحية نفس الجو العام لمسرحيات موريك : جو الريف والحقول .

إن الكراهية التي تولدت في قلب الزوج المخدوع لم ينطفئ لهيبها ابداً بل تحولت الى نوع من الأنانية المرضية وهو لا يجب ابنته الصغرى لأنها شديدة الشبه بأمها ولكنه شديد التعلق بابنته الكبرى اليزابيث حتى أن العلاقة بينها تبعث على الشك . تقع الشقيقتان في غرام احد الجيران ، وهو شاب في الثالثة والعشرين من عمره . والغريب أنه إنسان سلمي تافه ، لكنه بحكم وجوده وسط جو الحرمان العاطفي الذي تعانيان منه ينجح في اجتذاب كل منهما - كل هذا نعلمه من خلال الفصل الأول .

أما في الفصل الثاني ، فتظهر الأزمة او عقدة المسرحية حيث تعلم ماريان أن شقيقتها وآلان ينويان الزواج فيجن جنونها وتهرع لحجرة والدها وتمسك بمسدسها ، لكنها لا تتنحر .

وتواجه اليزابيث صراعاً حاداً بين سعادتها وبين سعادة والدها

وشقيقتها . وتفضل في النهاية أن تبقى الى جوار والدها ، وتقتنع
حبيبها بأن يتزوج من ماريان .

وبالفعل ، يتزوجان . ويبدأ الفصل الثالث بعد مرور عام على
زواجهما وطبيعي أن تكون العلاقة بينهما بعيدة كل البعد عن الحب
والتفاهم فكل منهما بعيد عن الآخر . وعشاً تحاول ماريان ان تجذب
زوجها او تثير مشاعر الحب في قلبه . وفي لحظة ضعف ، تتفق
اليزابيت وآلان على الهرب معاً .

يهرعان الى خارج المنزل ويركبان السيارة وحين يعلم الأب ،
يستشيط غضباً ويصرخ .

وتحاول ابنته الصغرى أن تخفف عنه لكنه لا يقبل اي نوع من
التخفيف او المواساة .

إلا أن اليزابيت تفيق لنفسها ، وما تلبث ان تعود لتعيش بقية
حياتها وحيدة الى جوار والدها ، منعزلة رغم المحيطين بها .

وربما لاحظنا الشبه الكبير بين نهاية هذه المسرحية والمسرحية
السابقة .

وتبقى النهاية مفتوحة . فنحن لا نعلم ما يمكن أن يحدث بعد
ذلك لكل من مدام دوبارتسا واليزابيت ، فالحياة تستمر .

كان من الممكن أن يختم موريك المسرحية بانتحار احد
الأطراف : ماريان او الوالد ، وخاصة ان شخصية كل منهما تؤهله
لذلك .

لكن مورياك رفض أن يستسلم لمثل هذه السهولة في التخلص من المرقف .

استطاع مورياك أن يقدم أكثر من مفاجأة مسرحية : فمثلاً حين تمسك ماريان بالمسدس وتفاجئها شقيقتها ، او حين تفر اليزابيت مع آلان ثم لا تلبث ان تعود ، وتعتمد المسرحية تماماً على عواطف الشخصيات .

ابتعد مورياك هنا عن قصصه ليس من حيث الجو العام او الإطار الخاص به ، لكن من حيث التكنيك نفسه .

وكان مورياك يخشى ألا تنجح هذه المسرحية التي عرضت بعد الحرب لأنها كانت قد كتبت قبل الحرب .

وبالطبع كان هناك تغيير في امزجة الناس وميولهم وطبيعة مشاعرهم . لكن الواقع أنها مسرحية تقدم لنا شخصيات تعبر عن صراعاتها ومشاعرهم وقيمها ومبادئها . وهذا النوع يمكن أن يقدم في أي زمان او مكان ، لأنها عناصر وموضوعات أزلية لا يمكن أن تختفي . طالما يتألم الإنسان ويعاني ويحس فهي موجودة .

أعيد عرض هذه المسرحية عام ١٩٤٦ بعد أن أدخل مورياك بعض التعديلات على النص .

وبعد مرور عشرين عاماً على العرض الأول للمسرحية اعيد عرضها . وحاول مورياك أن يقدم نقداً ذاتياً : « يا لها من معاناة ! كيف استطعت أن استخلص من نفسي كل هذا الألم إنني أحاول

دون جدوى أن اصبح هذا الرجل الذي كتته حينئذ ذلك الرجل الذي كتب الذين أسيء جبههم .

المأساوي والكوميدي في مرور الماكور :-

تحتوي هذه المسرحية على ثلاثة فصول ومنظر واحد وقد قدمت للمرة الأولى في امريكا الجنوبية ثم عرضت في ٩ ديسمبر ١٩٤٧ في مسرح مادلين ورفض موريك أن يجزىء كل فصل الى عدة مشاهد كما كان قد فعل قبل ذلك في مسرحيته السابقتين . في خلال الفصل / كما هو الحال في أسموريه و الذين أسيء جبههم / نتعرف على العائلة والشخصيات التي سنراها تتصرف وتتعذب وتتألم طوال المسرحية : إميلي امرأة في الخامسة والثلاثين من عمرها متزوجة من فرناند / خمسين عاماً / الذي كان متزوجاً من قبل ، وانفصل عن زوجته الأولى بالطلاق ، واحتفظ بولديه إيرين / تسعة عشر عاماً / وريمون / ثمانية عشر عاماً / .

إميلي تعيش حياة منفصلة تماماً عن حياة زوجها وخاصة على الصعيد النفسي . فكل ما يربط بينهما ذلك المكان الذي يعيشان فيه وتلك المدرسة التي يديرانها . يطل النزل الكبير على البحر فيضفي نوعاً من الرومانسية على المسرحية . تعيش في نفس المنزل كلودين / والدة إميلي / وإيرما / والدة فرناند / وهي تجسيد آخر للجينيتريكس .

منذ بداية المسرحية ، نحس بالمأساة التي تعذب فرناند فهو رجل تتحكم فيه قوتان : والدته من جهة ، وزوجته من جهة اخرى .

ويبدو أن ابن فرناند / ريمون / معجب بزوجته ابنة التي تكبره
 بعدة اعوام ، كما هو الحال بالنسبة لعدد كبير من الشباب في سن
 المراهقة - تصل الى هذا المنزل شخصية جديدة لا تظهر على خشبة
 المسرح ، ولكننا نعلم بوجودها ؛ وهي احدى الطالبات في المدرسة
 التي تديرها إميلي . وتستقبل إميلي تلميذتها سرّاً ، ونعلم أن آيناس
 تختبئ في الغرفة الملحقة بغرفة إميلي فراراً من عاطفة قوية سيطرت
 عليها وربطتها برجل من طراز دون جوان .

في الفصل الثاني، يصل هذا الدون جوان . وتحدث مواجهة بينه
 وبين إميلي . لكن المواجهة تنتهي بوقوع كل منهما في حب الآخر .
 وتحاول إيرما الإيقاع بزوجته ابنة فتعطي مفتاح غرفة إميلي الى برنارد
 الذي يتسلل في المساء الى الغرفة ، ويتحدث الى إميلي . وطبيعي أن
 تبلغ إيرما جميع أفراد المنزل بوجود شخص في الغرفة . لكن برنارد
 ينجح في الاختفاء بالشرفة دون أن يراه أحد .

وفي الفصل الثالث تفر إميلي من المنزل فينقصد مجلس العائلة للبت
 في الأمر . ويقرر ضرورة عودة إميلي لتدير شؤون المدرسة والمنزل .

وعلى أي حال فإن إميلي نفسها بعد أن وقعت في الخطيئة
 واستسلمت لسحر برنارد وقتياً تعود فتفقد وتقرر العودة لاستئناف
 حياتها . وهكذا تختار أن تبقى وحيدة وسط المحيطين بها مجددة بهذا
 نهاية المسرحيتين السابقتين .

وأهم ما يميز هذه المسرحية ذلك الصراع النفسي الذي يصل الى
 الذروة في المواجهة بين العاشقين إميلي وبرنارد اللذين يختلفان تماماً في
 طبيعتهما .

أما العنصر الجديد في هذه المسرحية فهو الطابع الكوميدي لبعض الشخصيات . وقد أعرب موريك عن تخوفه من عرض مثل هذا الموضوع على المسرح ويبدو أن مخاوفه لم تكن دون سبب .

لقد حازت هذه المسرحية على إعجاب الجمهور واستقبلت بترحيب حار منذ أول عرض لها . لكنها كانت موضع انتقادات كثيرة من حيث الموضوع ومن حيث التكنيك المسرحي ذاته .

عرضت هذه المسرحية للمرة الأولى في امريكا اللاتينية ثم قدمت للجمهور الفرنسي بعد إدخال تعديلات عليها وخاصة على الفصل الثاني والثالث .

التكنيك المسرحي للنار على الأرض :

تتكون هذه المسرحية من اربعة فصول وتدور عام ١٩٤٦ في مقاطعة جوهانو في ضيعة عائلة لاسيسك ، اي أن موريك لم يبتعد عن الجو العام لكتبه ومسرحياته - ومنذ الفصل الأول نحس بحرارة الجو وسط الحقل، بل وبرائحة الحريق الذي يشتعل في الأشجار كما يشتعل في القلوب فيعطي لعنوان المسرحية دلالة ومعناه .

يمثل الأب والأم / جوسمان دي لاسيسكي ومرجريت دي لاسيسكي / البرجوازية المادية الأنانية التي عرفها موريك عن قرب .

يعد الأبوان لزواج ابنها موريس من كارولين / الفتاة الثرية / لكي يفيدا من هذا الزواج ويحسن أوضاعهما المادية - اما لور شقيقة موريس فتبدو شخصية مسيطرة ومتملكة . فهي التي تأمر وتنهى في

هذا المنزل وهي تسيطر حتى على والديها وعلى تلك الفتاة كارولين .

لكن تأثيرها يبدو أقوى وأكثر فاعلية على شقيقها الذي تحبه بجنون . ونعلم من خلال الكلمات الأولى للمسرحية أن عائلة دو لاسيسك كان لها ابن آخر هو ريمون الذي توفي بعد أن مرض مرضاً خطيراً ، وأن العائلة في انتظار وصول موريس بعد أن أوشك على الإنهاء من دراسته والحصول على الدكتوراه .

في بداية الفصل الثاني ، تحاول لور أن تلقن كارولين الطريقة التي تنفذ بها إلى قلب موريس ، لكن الفتاة تفهم غرضها وتقول لها : « إنك تدركين أنني تافهة وأن موريس لن يتعلق بي وأني الزوجة الوحيدة التي لا يمكن أن تصبحي غيرة منها . » .

ويصل موريس لكن العائلة تكون قد اكتشفت الحقيقة ؛ فهو لم يتم دراسته كما كان الجميع يتوقعون . والواقع أن هناك سرّاً أكبر لم تكتشفه لور بعد ، وهو أن موريس قد تزوج واصطحب زوجته وابنه معه وتصدّم لور عند رؤية الزوجة وتحس بإهانة قوية وجهت إليها وتقرر بينها وبين نفسها أن تنتقم .

وفي الفصل الثالث ، بعد مرور خمسة عشر يوماً على وصول موريس (حيث من الملاحظ أن زمن المسرحية قصير يلائم القواعد الكلاسيكية) ، تحاول لور أن تهنيء لعلاقة بين أخيها وبين كارولين . ويتذبذب موريس بعض الشيء ، لكنه لا يلبث أن يفيق بفضل زوجته العاقلة الرقيقة .

في الفصل الرابع ، تذهب أندريه وموريس لإعلان زواجهما في

الكنيسة . وبلغ لور الأمر فتجري الى بئر مهجور اعتادت الذهاب اليه مع شقيقها . ويظن الجميع أنها انتحرت ، ويذهبون للبحث عنها لكنها ما تلبث أن تعود لتستسلم لمصيرها وتبقى وحيدة وسط عائلتها . أي أن النهاية هي نفس نهاية المسرحيات السابقة .

وقد خلط مورياك في هذه المسرحية بعض العناصر الكوميديّة كذلك وعلى سبيل المثال تلك الأحاديث بين رب العائلة وزوجته أو بين الأطفال بعضهم البعض .

تنبع الاثارة في المسرحية من تجاهل لور لتلك العاطفة التي تؤرقها والتي يعلمها المتفرج علم اليقين .

مسرحية لم تكتمل :

بالإضافة الى المسرحيات الأربعة التي عرضت على الجمهور ، ترك لنا مورياك مسرحية لم تكتمل ولا تحمل عنواناً ، لكنه كان قد شرع فيها وحدد خطوطها الرئيسية على مرحلتين .

ويعد هذا دليلاً قوياً على أن مورياك لم يكن قد عدل عن الكتابة للمسرح نهائياً بل إنه كان ينوي أن يستمر في هذا المجال .

وتدل الخطوط الرئيسية للمسرحية على أن مورياك قد احتفظ بنفس الجو العام الخاص به بل ونفس الشخصيات : الأرملة ، والابن الذي يستضيفه بعض الأثرياء ، والشخصية التي تتميز بالقسوة ، ونفس الولع بالمادة ، ونفس الحب الذي يصطدم بمشاكل عديدة ، ونفس المحيط العائلي . من خلال الفصل الأول يعرض مورياك الموقف العام لكافة الشخصيات كما فعل في مسرحياته

السابقة .

أما في الفصل الثاني ، فيصل أرنست الذي يكشف عن حقيقة شخصية والدته العنيفة المسيطرة . إنها تحاول أن تبقي ابنها تحت سلطتها بأن تهز ثقته بنفسه وبعد ذلك يحاول موريك أن يدبر حبكة مسرحية من طراز جديد لم نعهده معه من قبل . فهناك الفتاة الصغيرة التي تشفق على أرنست وتحاول أن تثبت له أنه يمكن أن يحظى بالحب بل تعترف له أنها تحبه ويذكرنا هذا التكنيك بأسلوب ماريفو .

أما في الفصل الثالث فإن الأم تواصل تربصها بابنها وسعيها وراءه وتستخدم كل الوسائل لإبعاد فتاته عنه . وفجأة تحدث مفاجأة مسرحية ؛ فتنجح الأم في أن تجبر رئيس العمل على الاعتراف بأن فتاة الآلة الكاتبة حامل . ونتساءل أي الفتاتين يفضل أرنست هل هي الفتاة الصغيرة أم فتاة الآلة الكاتبة « أو التاييست » .

ويحرص موريك على تصوير حب الأخت لأخيها بصورة تذكرنا بمسرحيته الأخيرة النار على الأرض وتشتعل الغيرة في قلب الفتاة الصغيرة كما اشتعلت من قبل في قلب كارولين ثم يعترف أرنست بأنه إنسان عاجز وبدلاً من أن تسخر منه الفتاة تشعر بالعطف عليه .

هذا هو ملخص ما خططه موريك لهذه المسرحية في المرحلة الأولى وقد عدل موريك عن إدخال أي عنصر كوميدي .

ويبدو أنه قد حدد كافة الخطوط ولم يبق سوى الخاتمة واستكمال بعض المواقف ومن الملاحظ أن تركيب المسرحية وتوزيع الفصول

والمشاهد ووحدة الزمان والمكان تتميز بالكلاسيكية وأن موريك قد حدد اسماء الشخصيات .

المرحلة الثانية لهذه المسرحية :

حاول موريك أن يدخل تعديلات على نفس هذه المسرحية وأن يستكمل كتابتها فحاول أن يحدد اسم وسن كل شخصية . كما أن عناصر الديكور ترسم خطوة خطوة : فهناك صالون متواضع (هذه هي المرة الأولى في مسرحيات موريات التي يدخلنا فيها في بيئة متواضعة لأنه عادة ما يختار منازل فخمة تتميز بالثراء » .

لكن المنزل تحيط به حديقة تذكرنا بنفس الجو الرومانسي المعهود . ويحدد موريك هنا موقف كل شخصية وأقل حركاتها . ويستكمل الفصل الثاني حيث لا يتغير الديكور عن الفصل الأول .

إن العاطفة التي تكنها لويس لأرنست لا تظهر بصورة مباشرة كما هو الحال في مسرحياته السابقة بل إنها تنعكس من خلال كلمات لويس وموقفها تجاه موظفة الآلة الكاتبة .

وتشع الموسيقى الهادئة لتضفي جواً رومانسياً على المسرحية كما هو الحال في مسرحياته الأخرى .

وفي المشهد الرابع من الفصل الثاني يوضح موريك شخصية أرنست الحائرة وشعوره بالرعب من أمه .

وبعد ذلك تفاجيء الأم أرنست وكلودي في غرفتها . وتختبئ كلودي لكن الأم تخمن ذلك . ولا يستطيع أرنست أن يصمد

فيعترف بكل شيء ، وتكتشف الأم وجود كلودي في مفاجأة مسرحية حقيقية .

وفي المشهد الثالث تحدث مواجهة بين كلودي وأرنست ولا يقرر مورياك بعد أي نهاية يختارها للمسرحية .

الديكور في مسرح مورياك :

الديكور لا يحتل مجرد مكانة ثانوية في مسرح مورياك ولكنه يعد مكملاً للأحداث ويتخذ نفس أهمية الوصف في القصة . فهو نوع من العرض للموضوع وكل عنصر من عناصره له دلالة خاصة . وقد ذكرت نيللي كورمو في كتابها « فن فرانسوا مورياك » أن « الديكور يقوم بوظيفته تماماً بحيث يعد عاملاً مساعداً للمسرحية » . وينجح مورياك في أن يفرض جواً خاصاً من خلال الديكور - جو المنازل الريفية الكبيرة وسط الحقول وأشجار الكرم .

ويتميز الديكور بوحده كما هو الحال في المسرحيات الكلاسيكية - بدلاً من قاعة القصر التي نجدها في مسرحيات راسين استبدلها مورياك بالمنازل الريفية الكبيرة .

ويرتبط الديكور بعواطف الشخصيات وأزماتها النفسية وقد ذكر مورياك : « إن نفسية شخصياتي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمناظر الطبيعية وسط الحقول . إن هذه الشخصيات مثلي تحيا من هذه الطبيعة وتنطبع بها . » .

وقد ذكر هذا الكلام في كتاب « فرانسوا مورياك او عاطفة الأرض » في حديث بين المؤلف ومورياك في ١٨ / ٢ / ١٩٦٤ .

وعلى الصعيد الفني فإن مورياك المؤلف يعتبر رساماً وبصفة خاصة خبيراً في الألوان فمثلاً نجد أن الألوان التي تميز ديكور مسرحياته تميل الى الألوان القائمة فهي أبعد ما تكون عن الأصفر او الأحمر .

يتمسك مورياك في الديكور بالطبيعة كما هي في صورتها البدائية فهو عادة ما يتعد عن ديكور المنازل الحديثة او كل ما هو مستحدث بصفة عامة وربما استطعنا أن نقول أن مورياك نقل الى خشبة المسرح نفس الجو العام لقصصه من خلال الديكور الخاص به .

ويرتبط بالديكور هنا الفصول او المناخ العام فكل عناصر الديكور تعكس الحرارة القوية التي تلائم لهيب العواطف . وقد ذكر مورياك في حديث له مع أندريه بوردان في صحيفته « لي نوفال ليتيرار » في ٢٤ / ٩ / ١٩٥٩ أنه استوحى ديكور الفصل الأول من « أسموريه » من شاليه كانت والدته قد أوصت ببنائه حينما كان مورياك صغيراً وكانت «موضة» الشاليهات السويسرية تسود حينئذ . وقد تأثر مورياك بهذا الشاليه فنقله كما هو تقريباً بشرفاته الخشبية والطوب حول النوافذ وبالديكور الخاص الذي يميزه والذي يتكون من الزجاجات الفارغة التي تشكل إطاراً للسطح .

بالنسبة لمسرحية الذين أسيء حبهم فالمنزلة الذي تدور به الأحداث يقع وسط الحقول مثل المسرحية السابقة ولكن يغلب على هذه المسرحية الديكور الداخلي أي أن معظم الأحداث تدور داخل المنزل نفسه ويتميز هذا المنزل بالمكتبات الكبيرة والنوافذ العالية . وقد نفذ هذا الديكور بكل عناية على المسرح .

أما بالنسبة للمسرحية الثالثة مرور الماكر فديكورها يجمع بين

الرومانسيه والواقعيه فالستائر تفتح وينفذ معها ضوء الشمس وتطل الشرفات على البحر- أما بالنسبة لـحجرة إميل حيث يدور الفصل الثاني فهذه الحجرة تتميز بسرير من الطراز التقليدي القديم يتميز بالفخامة ، وكتب وأوراق متناثرة هنا وهناك ، وبعض التابلوهات اليونانية القديمة على الحائط .

وملحق بها حجرة مجاورة أي أن الديكور يعكس نوعاً من الفخامة او الأبهة التي تميز المناظر العريقة وطبيعي أن كل عنصر من عناصر الديكور هنا يعكس حقيقة معينة : فمثلاً الإيماء بوجود البحر في الخارج يبعث على التأمل ويضفي نوعاً من الرومانسية كما أن سرير البطلة يرتبط بمزاجها وطباعها . ويدل على شخصيتها كذلك تلك الكتب والأوراق المتناثرة التي تجد فيها إميل العزاء أما تلك التابلوهات اليونانية على الحوائط فهي تعكس الحس الفني لتلك المرأة وذلك الباب المفتوح الذي يؤدي الى الغرفة الملحقة بغرفة إميل يثير فضول المتفرج لإكتشاف غموض تلك الشخصية المختبئة بالداخل .

أما بالنسبة للمسرحية الرابعة النار على الأرض التي كتبت في صيف عام ١٩٤٩ اي اثناء الحرب فإن الديكور يغلب عليه هيب النيران وإشتعال الحرائق والدخان- ولقد رمز مورياك بهذا العمل للحرائق التي كانت تحيط به وتأتي على كل شيء من حوله . وارتبط الديكور كذلك بالبرجوازية ونفس طراز الأثاث البرجوازي وطبيعي أن تحيط بالمنزل تلك الحقول والمناظر التي ترتبط بالريف الذي عاش فيه مورياك .

اسلوب مورياك كوسيلة للتعبير الأدبي والمسرحي :

إن اسلوب مورياك لا يضاهي . فقد اتفق الجميع على الثناء عليه بل إن بير دو بواريفر كتب : « يمكننا أن نكتب ولكن لا يمكن لأحد أن يكتب مثل مورياك . »

إن مورياك يؤكد أن الاسلوب ليس غاية في حد ذاته ولكنه وسيلة للتعبير . ويتميز مورياك بأسلوب راق يعبر عن تفوقه في كافة المجالات الأدبية والغريب أن مورياك استطاع أن يتحدث بأسلوب قريب من القلب وفي الوقت نفسه لا تشوبه أية شائبة من الناحية الأدبية .

إن الجمل قصيرة حية ، مفعمة بالروائح والاحاسيس . ويتميز مورياك بقدرة كبيرة على الانجاء فتكفيه جملة قصيرة لكي يوحى بفصل كامل من فصول السنة بمناخه وراثته المميزة ومظاهره الخاصة .

ربما لاحظنا شحنة التعبير التي تكتسبها الكلمة بفضل موقعها داخل الجملة فمثلاً في مسرحية « الذين اسيء حبههم » تقول المعلمة لمسيو كرتور « ما من شخص الا وتحوم حوله » من مسرحية « أسموريه » لفصل الثاني المشهد السادس . كلمة (تحوم) هنا تعني كل محاولات الإغراء والتملك والسيطرة التي يمارسها مسيو كوتير على المحيطين به .

وفي مسرحية « الذين اسيء حبههم » يعبر مورياك عن شخصية مسيو دي فيرلاد كلها بجملة واحدة هي : « كما لو كان للآخرين

وجود بالنسبة له ! » (من الفصل الأول المشهد الثالث) .

وتتعدد لأمثلة على هذه البراعة في التعبير . ويغلب على أسلوب مورياك نظراً لطبيعة موضوعاته الكلمات التي تعبر عن الألم والصراع والمعاناة .

تعد هذه الكلمات مفتاحاً لأسلوب مورياك (المأساة ، الطين ، الشيطان ، وفي مقابل هذه الكلمات نجد كلمات : الله ، الحب ، القلب ، العفو ، الموت ، رهيب ، لا يمكن إشباعه ، لا ينتهي .

لا يعلق مورياك في مسرحياته أهمية كبيرة على الملامح الخارجية الظاهرية للشخصيات فنحن نعلم القليل عن لون العينين او الشعر ولكن تكفيه كلمة واحدة لكي يوحى بالشخصية بأكملها كما لو كان وصفها وصفاً دقيقاً ويستعين مورياك بالصور البلاغية ليعمق فكرته ويزيدها وضوحاً وهي صور ثمينة وجريئة . وقد استوحى مورياك صوره من عالم الريف والحقول والطبيعة النقية الصافية .

تعكس صور مورياك تأثير الموسيقى فقد استوحى مورياك كتاباته من أغاني الطفولة والموسيقى التي كان يستمع إليها ويأتي موزار في المرتبة الأولى وتكاد جملة مورياك تعكس نغمة وتيرة موسيقية واضحة .

وقد صرح مورياك أنه حاول في كتاباته المسرحية « أن يصل الى الحوار العادي ، لكنه حوار يصلح في الوقت نفسه للكتابة » (لو فيجارو في ١٢ / ١١ / ١٩٣٧ فرانسوا مورياك يتحدثنا عن « أسموريه » بقلم اندريه وارند) .

وأكد موريك أنه بانتقاله الى المسرح حاول أن يحظى بإعجاب الجمهور وأن يجعل الحوار في متناوله ، لكنه تفادى الكلمات العامة والألفاظ الدارجة التي تحط من مستوى أسلوبه .

وهكذا فإن موريك وإن كان قد واجه بعض الانتقادات من حيث التكنيك المسرحي الا أن كافة النقاد أجمعوا بلا استثناء على أن أسلوبه في المسرح لا مثيل له كما هو في القصة . وقد ذكر برنارد شو (في كتابه «فرانسوا موريك» ص ٧٦) أن أسلوب موريك ليس له مثيل في الأدب المعاصر.

استقبال الجمهور لمسرحيات موريك :

لا شك أنه كانت هناك دائماً بعض الخلافات بين موريك وجمهوره وأول هذه الخلافات هو أن موريك يبدو متخصصاً في تقديم الشخصيات التي تتميز بالشراسة والفظاعة . وثاني هذه الاختلافات هو أن المؤلف متشائم . لكن الحقيقة أن موريك اذا كان قد قدم شخصيات متسلطة جبارة واذا كان قد اظهر مأساة الانسان وصراعه وتناقضاته فقد كان هذا يقوم بنوع من التعادل والتخفيف فالعناية الإلهية تأتي دائماً لتنقذ الشخصية وتبعث في الإنسان الراحة .

حظيت اول مسرحيات موريك بنجاح ساحق بل واعتبرت الحدث الفني الضخم عام ١٩٣٧ / ١٩٣٨ واستقبلها الجمهور والقناد على حد سواء استقبالا رائعاً ليس فقط في باريس ولكن ايضاً في الريف وايطاليا وبلجيكا وانجلترا والبرازيل وسويسرا واوروجواي والأرجنتين .

واستطاع موريك أن يخلق شخصيات مسرحية ظلت حية في مخيلة الجماهير مثل شخصياته القصصية .

وقد كتب بيير هنري سيمون ، احد اكبر الكتاب والنقاد في فرنسا ، رسالة الى موريك في الرابع من ديسمبر عام ١٩٣٧ ذكر فيها أنه لم ير في المسرح منذ راسين مثل هذه القدرة والتمكن والموهبة الحقيقية .

حصل موريك عام ١٩٣٨ على جائزة ايميل أوجيه التي تمنحها الأكاديمية لأفضل مسرحية عرضت خلال الموسم وهي جائزة قدرها خمسة آلاف فرنك .

وقد تكرر عرض المسرحية اكثر من مرة وفي عام ١٩٥٣ شاهد عرضها رئيس الجمهورية وجهور غفير من نخبة اهل الأدب والسياسية .

أما مسرحية موريك الثانية الذين اسيء حبهم فلم يكن نجاحها أقل من الأولى بل إن البعض يرى أنها افضل مسرحيات موريك على الاطلاق وقد عرضت للمرة الأولى عام ١٩٤٥ واعيد عرضها مرة ثانية عام ١٩٥٩ بنجاح منقطع النظير وقد ذكر تيري مولنييه بهذه المناسبة أن المسرحية ستنتج مرة اخرى دون اية صعوبة اذا عرضت عام ١٩٧٣ (صحيفة « كومبا » في ٢٢ / ٥ / ١٩٥٩) واعيد عرض المسرحية مئات المرات في فرنسا وخارجها وكانت في كل مرة تلقى النجاح والإعجاب من قبل الجمهور وهكذا أثبت موريك جدارته في المجال الجديد الذي خاضه .

وفي حين كان الكل في انتظار مسرحيته الثالثة حدثت المفاجأة لأن مورياك في هذه المرة تعرض لانتقادات شديدة من قبل النقاد بصفة خاصة .

عرضت مسرحية « مرور الماكر » للمرة الأولى في ريو دي جانيرو ولاقت نجاحاً منقطع النظير لكن يبدو أن المناخ لم يكن ملائماً في باريس فقد لاقى مورياك نقداً شديداً من قبل النقاد وجانب من الجمهور .

وفي عام ١٩٥٠ عرض مورياك للمرة الأولى مسرحيته الأخيرة « النار على الأرض » وصدق لها الجمهور بحرارة لا تقل عن تلك التي استقبل بها أسموريه او الذين اسيء جهم . واعتبرها الكثيرون اكثر مسرحيات مورياك تأثيراً في الجمهور .

وهكذا فإنه مما لا يقبل المناقشة أن اولى مسرحيات مورياك قد حظيت بنجاح في حين لم تحظ الثالثة بمثل هذا النجاح وتأتي المسرحية الرابعة لتؤكد نجاح مورياك في مجال المسرح . وهناك اسباب كثيرة قد ادت الى عدم نجاح المسرحية الثالثة بنفس الدرجة التي حظيت بها المسرحيتان السابقتان ، اول هذه الأسباب هو أن مورياك بعد الحرب العالمية الثانية كان من الكتاب الذين ينتمون الى الفترة السابقة وبالتالي اصبح في مواجهة جيل جديد من الكتاب والنقاد والجمهور وطبيعي أن الحرب احدثت تغييراً في ذوق الجمهور وطريقة حكمه والمناخ المسرحي نفسه .

وفي الفترة التي أعقبت الحرب بدأت تظهر تيارات جديدة مثل

مسرح اللامعقول ورأينا نوعاً من التجديد في طريقة العرض والاداء والتكوينات الجمالية وأصبح يونسكو يحتل مكانة كبيرة مع جان بول سارتر وكامو وكوتكو وبدأ أهل المسرح يتحدثون عن المسرحية الجماعية أي التي تتناول المجتمع ككل وتتناول مجموعة من الشخصيات تربط بينهم نفس المشاكل ونفس المصالح ونفس العواطف.

وبدأ المؤلفون يميلون إلى فن الإيماء والرمز وصادف مسرح أنوي وجيروودو نجاحاً كبيراً في هذه الفترة وخاصة أنه كان يعبر عن أصالة الثورة والتجديد في أعماق الناس حينئذ. وسعى المؤلفون في هذه الفترة بوجه عام لطرح مشاكل تفرضها الأحداث وطبيعي أن المسرح الكلاسيكي الذي يقدمه مورياك تراجع إلى المرتبة الثانية.

ومن جهة أخرى، فإن مورياك في الفترة ١٩٤٧ - ١٩٥٠ كان صحفياً سياسياً أقحم نفسه في معركة عنيفة خلقت له الكثير من العداوات والمنافسات وكان لها رد فعل كبير على الجمهور.

بالإضافة إلى ذلك، فإن عدداً كبيراً من قراء الروائي مورياك لم يتقبلوا بسهولة مورياك كمؤلف مسرحي وكانوا يقارنون بين قصصه ومسرحياته وكما نعلم فإن عالم القصة يهيء لصاحبه تسهيلات ويهيء له الفرصة لمزيد من التحليل النفسي الذي يربط القارئ بالشخصية.

كما أن مورياك كان في هذه الفترة يساء فهمه من قبل المسيحيين المتدينين ومن قبل الملحنين على حد سواء فبالنسبة للفريق الأول كانوا يرون في تصوير مورياك للشعر والخطيئة وفي ذلك الشعور

بالعطف تجاه كل مجرم إساءة للدين وروحه كذلك فإن الملحددين كانوا يعتبرون أعمال مورياك تعبير عن إيمان عميق لا يستطيعون إدراكه ولا يفهمون له مغزى أو معنى وبالتالي كانوا يعتبرونه كاتباً لا يساير متطلبات العصر، ويجب أن يحل محله الجيل الجديد الذي يؤمن بالأفكار المجردة الحديثة التي ملأت عقول الشباب.

وعلى أية حال فإن مورياك تغلب إلى حد كبير على هذه الصعوبات واستطاع أن يستعيد جمهوره وأن يحقق النجاح مع مسرحيته الأخيرة.

وإذا كان البعض يعتقد أن مسرحيات مورياك لا تصلح أن تعرض في العصر الحاضر فإن هذا ينافي الحقيقة لأن المسرحيات الكلاسيكية التي سبقت مورياك بفترة طويلة لا زالت تعرض وتحقق النجاح الكبير وبشرط أن يتناولها المخرج برؤية فنية جديدة تناسب متطلبات العصر.

خاصة وأن مسرح مورياك إنساني بالدرجة الأولى وذكرونا بمسرح تشيكوف فهو يقتحم المنازل ويسرد ما بداخلها من قصص عائلية ويقتحم نفوس الشخصيات ويحلل ما بداخلها من مشاعر دقيقة وطبيعي أن مثل هذا النوع لا يمكن أن يبلى أو أن تتخطاه تيارات جديدة.

مورياك ناقد مسرحي :-

لقد صرح مورياك (في «مذكراته الخاصة الجديدة» ص ٤٥) قائلاً: «ولد فكري ناقدًا منذ أبعد فترة أتذكرها» وكان مورياك من أنشط النقاد وبما أنه مسيحي مخلص فإنه كان يحترم في نقده حرية

الفرد وأسرار الآخرين .

وقد خلط بين النقد والأحاساس فكل نقد يجب أن ينبع من إحساس صادق ولا نستطيع أن نقول أن مورياك كان محايداً مائة بالمائة لأنه كان يتأثر بأفكاره الخاصة ومعتقداته الشخصية . وقد مارس مورياك النقد المسرحي منذ عام ١٩١٩ من تلك الفترة الذي تعرض فيها المسرح لتغيير شامل ولملموس خاصة على يد كوبو .

وقد أعرب عن مناهضته لهؤلاء المؤلفين الذين يميلون جانب الحياة الخاصة والتحليل النفسي العميق للشخصيات وكان يستاء لعدم وجود خط رئيسي يميز الإنتاج المسرحي في عصره . وقد أفاد مورياك المؤلف المسرحي من تجربته في عالم النقد كما أفادته تجربته في التأليف في وظيفته كناقذ .

فقد كتب في عام ١٩٤٧ بعد أن أمضى سنين طويلة في ممارسة المجالين أنه ليس هناك من سبب في أن يفشل الروائي في المسرح بل على العكس هناك أسباب كثيرة تؤهله لخلق شخصيات حقيقية حية يمكن أن تنجح في المسرح .

ولم يكن مورياك يشعر بالإعجاب إزاء المسرح الفرنسي في عصره فقد كان يرى أن معظم المسرحيات لا معنى لها ولا هدف .

وعلى الرغم من أن مورياك مارس لمدة طويلة النقد المسرحي إلا أنه بعد أن كتب للمسرح وتعرض للنقد صار ضد نقاد المسرح وشبههم بالكلاب الجائعة وقال أنه يهيء لنا أنه يمكن أن نلقي لهذه الكلاب بقطعة من اللحم لتأكل قبل المسرحية لكي لا تنقض بأنيابها

على المؤلف.

وفي عام ١٩٥١ قرر مورياك أن يترك لفترة المسرح وذكر حيثئذ المصاعب التي تواجه الناقد المسرحي وأعرب عن استحالة تحقيق النقد المسرحي الجيد.

وذكر مورياك حيثئذ أن الناقد ينبغي أن تكون له على الأقل خبرة بمجال التأليف والأدب لكي يستطيع أن يدرك نوايا المؤلف وأن يصدر حكماً صائباً.

ومن أهم ما يميز النقد المسرحي لمورياك أنه لم يكن يتناول فقط النص الأدبي ولكنه كان ينصب كذلك على الإخراج والتمثيل والديكور والموسيقى ومن جهة أخرى فإن مورياك الذي كان بطبيعته يميل لكل ما هو تقليدي وكلاسيكي كان يعترف بقيمة بعض الأعمال الجديدة وبعض العناصر الجديدة في المسرح.

وكان مورياك يؤمن أن المسرح هو الذي جعل للجمهور وليس الجمهور هو الذي جعل للمسرح («مؤلفو المسرح» ص ٤٦) كما كان مورياك يؤكد على أهمية وجود ارتباط وثيق بين القاعة وخشبة المسرح أي أنه ينبغي أن يكون هناك تفاعل واندماج بين الإثنين لكي ينجح العمل المسرحي. فالمؤلف ينبغي أن يضع في الاعتبار أن المسرحية سوف تقدم للجمهور.

ويبدو أن مورياك قد سبق عصره في هذه التحليلات لأن الدراسات المسرحية المعاصرة تستند بصفة خاصة إلى التأثير الذي يمكن تحقيقه على المتفرج ورد فعل المتفرج تجاه هذه التأثيرات.

ولم يتناول مورياك في نقده نوعاً معيناً بل حرص على أن يشاهد كافة أنواع المسرحيات وأن يتعرف على جميع الاتجاهات السائدة وفي أكثر من مرة أبدى إعجابه بمسرحيات تختلف عن اتجاهه الشخصي تماماً كما هو الحال مثلاً في مسرحية النفس في حالة الجنون لفرانسوا دي كوريل فهذه المسرحية تعتمد على الفكرة العلمية ومع هذا فقد حازت على إعجاب مورياك.

لم يكن مورياك من مؤيدي إعادة تقديم الأعمال القديمة بل كان يرى أنه ينبغي على مديري المسارح أن يخوضوا مغامرات جديدة وأن يخلقوا جيلاً جديداً من المسرحيين.

ومن العناصر الرئيسية التي حظيت باهتمام مورياك الناقد المسرحي هو الأسلوب المسرحي وذلك أمر طبيعي بالنسبة لمؤلف اشتهر بأسلوبه الرائع.

وقد تنبأ مورياك في نقده لمسرحية الرجل المقيّد لإدوارد بورديه في ١٧/١١/١٩٢٣ بمستقبل باهر في التأليف المسرحي لهذا المؤلف الناشئ وبالفعل حقق إدوارد بورديه بعد ذلك نجاحاً منقطع النظير وأصبح أحد كبار المؤلفين.

٦ - عالم حافل بالصحافة والجدل

لم يكن مورياك دخلياً على عالم الصحافة الصاحب الذي يروج بتيارات متعارضة ومتناقضة ويتعرض لكل ما يحيط بها وما لا نستطيع أن ندركه. وإذا كان من البديهي أن الصحافة ليست دراسة منهجية وعلماً يكتسب بقدر ما هي موهبة وعنصر أساسي في تكوين الشخصية ذاتها، فإن مورياك كان - بإستعداده وملكته وحسه - مؤهلاً لخوض هذا المجال. وقد حدد مورياك الصفات التي يجب أن تتوفر في الصحفي والتي تفرضها إحتياجات المهنة نفسها: «إن الصحفي الجيد ينبغي أن يكون أولاً شخصاً ينجح في اجتذاب الناس بكتاباته... وهو الذي يستطيع أن يشد القارئ - رغماً عنه - وأن يبقيه معلقاً بصورة أو بأخرى وأن يرغمه على أن يعبر منذ البداية قراءة المقال الذي لم يكن قد اطلع من أول الأمر سوى على بدايته ونهايته... إن المقال لا ينبغي أن

يكون مناجاة للنفس أو عملية اجترار الصحفي لأفكاره الخاصة، بل يجب أن يشد الكاتب محدثه الخفي وأن يحاول إقناعه .

إن الصحافة الجيدة تنبع من الحوار .»

كان مورياك دائماً شديداً الإهتمام بعالم الصحافة وكتابها وقرائها . وكان يتعجب كثيراً من قراء الصحف . فقد رأى البعض في عربات القطار الذي كان ينقله من باريس إلى بورديو - ينتهي من قراءة اثني عشرة صحيفة خلال ساعة واحدة لأنه لا يقرأ بل يتصفح . ذلك أن الكاتب لم يعرف كيف يجتذبه ويشد انتباهه فأصبح لا يقرأ من الصحف سوى العناوين الرئيسية، ولا يتأمل في المجلات سوى الصور .

هكذا استخلص مورياك من ملاحظاته وتأملاته من القطر درساً لم ينسه؛ فعاهد نفسه على أن يرغب القارئ على قراءة كل ما يكتبه .

ووفي مجال الصحافة - كما هو الحال في مجال الفنادر - مع الفارق في التشبيه - الزبون دائماً على حق؛ بمعنى أن قواعد الصحافة تتطلب إحتراماً كاملاً من الصحفي للقارئ . فهو دائماً في خدمته . وهو دائماً المسؤول عما يبدو له مبهماً أو غامضاً .

كان مورياك يعد نفسه مسؤولاً مسؤولية كاملة عن عجز أحد قرائه عن فهم ما يقول بل وكان يرد في تواضع جم ويتهم نفسه بسوء التعبير بل ويحس بالغيب تجاه نفسه، لأنه كان صحفياً حقيقياً يدرك بحسه موضوعات الساعة ويضفي اللون والإستمرار على مقالاته .

وإذا كان البعض يقول أن مورياك كان «أيضاً» صحفياً، نظراً لنجاحه في شتى المجالات الأدبية الأخرى فالواقع أنه كان صحفياً بقدر ما كان روائياً أو مؤلفاً مسرحياً أو شاعراً.. إلخ.

فما يتعلق بأسلوب مورياك الصحفي، اتهمه البعض بأنه أسلوب قديم لا يساير العصر ومتطلباته. لكن «البلوك - نوت» أو «مفكرة» مورياك التي قدمها على مدى سنين طويلة أبرزت روعة هذا الأسلوب.

كانت أبسط الكلمات تتحول تحت قلمه إلى تعبيرات قوية ومتفجرة، كما كانت الجمل تتألق بتركيباتها التي تبهر القارئ وكانت الألفاظ تعكس دهاء الكاتب وفكره الساخر.

كان مورياك صانعاً ماهراً بقدر ما هو فنان كبير. وكان إيمانه العميق وراء ذلك لکه فقد ذكر في مفكرته: «إنني لا أعتقد أن السياسة حادت بي عن طريقي ككاتب، ولكنني واثق أنها أرغمت المسيحي المتناقض بداخلي على أن يتحدث ويكتب وفقاً لما يمليه عليه ضميره». وإننا لتساءل ما الذي يمكن أن يمليه عليه ضميره كمسيحي «متناقض»؟ الواقع أن هناك العديد من التأويلات والتفسيرات ولكننا نفضل ذلك الذي يقول أن تناقضه ذاته كمسيحي كان يفرض دائماً التزامات تنتهي في آخر الأمر إلى تحقيق الإنسجام. وأول هذه الإلتزامات هو الحوار. ولذا نجد مورياك حين ترك صحيفة «الإكسبريس» يأسف أكثر ما يأسف على ذلك التبادل الفكري بينه وبين جمهوره.

فقد كان يتلقى مئات الرسائل وكان يشعر بالإعجاب لعدد كبير منها حيث كانت تتميز بالثراء وتنم عن التركيز والاهتمام.

وإذا كان تأييده لـ بيير مننداس فرانس - عند التحاقه «بالاكسبريس» - قاده إلى طرق مجهولة. إلا أنه يرجع له الفضل في التقائه بمحدثيه وقرائه الحقيقيين.

كان مورياك دون شك يضيف على اليسار نوعاً من الضمان المسيحي الذي لم يكن يلقي قبولا حينئذ لكنه كان يتلقى من عالم الكفرة دروساً من الأمل والرحمة.

على أي حال فإن ضميره كمسيحي «متناقض» كان يفرض عليه أن يساند بيير مننداس فرانس في أحلك الظروف مساندة فعالة محفوفة بالمخاطر. وقد شهدت هذه الفترة إندحار الإستعمار، واتفاقيات جينيف، ومنح الحكم الذاتي لتونس من الداخل.

وبفضل هذا الرئيس اليهودي الذي كان يسانده، التقى مورياك بالإسلام. وقد جر عليه ذلك هجوماً شديداً ونقداً لاذعاً لم يتعرض له صحفي من قبل.

فقد اتهم بخيانة مجتمعه الذي ينتمي إليه وعقيدته التي يؤمن بها. لكن مورياك لم يفكر لحظة في التراجع أو التذبذب. وظل ثابتاً على موقفه يخوض معركته بضراوة وشراسة حتى عام ١٩٥٦ حين تمكن جي موليه من السيطرة على اليسار والأمة والمستعمرات في نفس الوقت.

كان لهذه الأحداث أعظم الأثر على الصحفي الجريء والوطني المخلص الذي راح يكتب مقالات تشتعل غضباً وغيظاً.

وأخذ يترقب بفارغ الصبر عودة ديجول. ولم يكتف موريك بالإعجاب بذلك الزعيم العظيم فقد وصل إعجابه إلى حد الإنهيار.

كان يحبه ويتألم معه ولأجله. بل كان يتألم لأن بعض الذين كان يقدرهم لم يكونوا من الديجوليين.

وكان لا بد أن تترك هذه المشاعر المختلطة وذلك الإلتزام العميق آثارها على موريك الصحفي. فقد وصل خلال هذه المرحلة إلى أوج تألقه.

وكان يصل إلى القمة في كتاباته التي غذتها مشاعره الصادقة وإيمانه الذي لا يحيد.

وقد ظل موريك طوال حياته يسعى وراء الأحداث ولم يسجل بقلمه النزيه سوى كل ما هو صادق وأكيد.

موريك الناقد اللاذع

كان موريك ناقدًا بطبيعته وقد صرح في أكثر من مناسبة بأن أعظم عيوبه هو ميله للثأر. وحين سئل عما إذا كان هذا اعترافاً منه أجاب: «بل إنه تحذير».

ونحن لا نبالغ أن نقول أن موريك كان أكبر مجادل. فقد كان يملك وسائل دفاعية وهجومية غاية في الضراوة جعلت الجميع

يرهوبونه . ومن العجيب أن مورياك لم يكن يؤمن بالجدل أو المجادلين وكان يرى: «أن معظم كبار المجادلين كانوا شهود زور تركوا للتاريخ دلالات من منطلق الحقد والتحيز».

وهذا النوع من الجدل - في نظر مورياك - تشويه لأفكار الخصم يهدف كل ما يهدف إلى رفضها وتحطيمها. «وفي أغلب الأحيان لا يرد مناقضونا على الاعتراضات التي وجهناها إليهم ولكن على التفاهات التي ينسبونها إلينا».

كان مورياك إذاً على علم بحيل الجدل وما يمكن أن تقود إليه الإنسان من تحيز وافتراء على منافسيه .

لذا توخى الحذر منذ البداية وراح يرسم لنفسه طريقاً مغايراً لذلك الذي كان يمثته . لم يسع لأن يرمي بسهامه السامة الخيالات والأوهام التي جسدها بنفسه وأحاط بها خصمه .

بل راح هذا المبارز يستخلص بقدرة فائقة نقطة الضعف الحقيقية في خصمه لكي يصوب إليها الطعنة تلو الطعنة . ووضع كل فنه ورؤيته في خدمة الصحافة الجدلية . الأمر الذي ساعده على إدراك نقاط الضعف أو السوء في النفس البشرية .

ذلك أن مورياك كان دائماً مولعاً بإبراز الصراع الكائن داخل كل إنسان بين الخير والشر والصواب والخطأ والحق والزيف والخلاص والمتعة .

وهكذا اتخذ مورياك طريقاً مغالفاً للمجادلين الذين كان يتقدمهم وراح يكشف العيوب بدلاً من أن يفتعلها .

ولا نستطيع أن ننكر في هذا المجال تأثير معلمه العظيم
باسكال . فقد إكتشف كل منها مساوئ العالم وضعف النفس
البشرية من خلال خوض الحياة بكل ما فيها من ضعف وقوة
ومباهج وحرمان .

ومن النماذج الجذلية الرائعة التي قدمها موريك في هذا المجال
رسالته الشهيرة التي وجهها إلى جون كوكتو بعد عرض باكوس
/مسرحيته التي تعرضت بعنف للكنيسة/ . وتكاد هذه الرسالة في
ضراوتها تضاهي شراسة باسكال .

ولم يكن موريك يستطيع أن يكتب مثل هذا النموذج الرائع
لولا أنه يعرف عن كتب وسائل الخداع ومواطن الضعف عند
كوكتو . وجدير بالذكر أن موريك كانت تربطه بكوكتو صداقة
وطيدة وربما كانت هذه العلاقة هي التي مكنت موريك من أن
يضرب بعنف على موطن الضعف وأن يصوب طعناته في صميم
الجرح .

وربما يتساءل البعض كيف استطاع موريك رغم علاقته الوثيقة
بكوكتو أن يتناسى كل هذا وأن يذكر فقط الدور الذي اضطلع به
والمسؤولية التي يملئها عليه إيمانه العميق .

تخطى موريك نطاق العلاقات الودية إلى مجال أوسع وأشمل
فوضع التزامه بمجتمعه ودينه في المقام الأول، ووجه لصديقه نقداً
لاذعاً لا هوادة فيه .

والواقع أن مؤلف باكوس لم يخرج منتصراً من هذه المعركة .

وجه مورياك إلى كوكتو رسالة عنيفة في ٢٩ ديسمبر ١٩٥١ في صحيفة «الفيجارو» بمناسبة عرض مسرحية «باكوس».

وكان مورياك قد أعرب عن استيائه عند خروجه من القاعة ثم راح يكتب: «ها أنذا أشاهد «غمرتك» منذ ما يقرب من نصف قرن. هناك حيل كثيرة في جرابك ولكني أعرفها جميعاً. إنك مخلوق شديد الصلابة لكنك أيضاً هش للغاية. إنك في صلابتك تشبه الحشرة ذلك أن لك نفس الجسم شديد المقاومة إلا أن هذا لا يمنع أنه يكفي أن تضغط بعض الشيء... لكن لا، إنني لن أضغط... ولا ترد علي، كما تدعي في برنامجك، بأنك لا تتحمل تبعة ما تنطق به. شخصياتك... إن باكوس تبرز لنا جون كوكتو في ضوء سارتر... لقد اندهش أحد الصحفيين لأنني اعترضت بهذه الدرجة على باكوس في حين احتفظت ببرودة أعصابي تجاه مسرحية سارتر. حقيقة أن مسرحية الشيطان والله لم تصدمني. ذلك أن الملحد يجتهد في عرض أسباب إلحاده على خشبة المسرح.

إننا لم نكن نتوقع منه غير هذا. ما الذي كان يمكن أن يقدمه غير هذا؟

ونحن لا نملك سوى أن نردد ما قاله باسكال: «إنهم يسبون ما يجهلون».

إن جميع سهام سارتر تضيق في الفضاء... وأضيف أن سارتر لا يهزل إلا ظاهرياً. فهو يعالج الموضوعات الجادة بأسلوب

جاد... وحين اتحدث عن مسرحيته بصدد مسرحيتك أحس أنني وجهت إليه إهانة. إنني لا أصدر هنا حكماً أدبياً.

على الآخرين أن يقيموا «باكوس». أريد فقط أن أقول أن سارتر المؤلف المسرحي يدور حول مشكلته، يجسدها انطلاقاً من معطيات يملكها...».

وفي عام ١٩٥٣ كتب موريك - في الجورنال الخامس - عن ليون دوديه الذي لم يكن له الإعجاب: «إن الحياة التي ينحصرها صاحبها للسب تستقي دائماً منبعها من مقبرة الأعمال الفاشلة.

إن هذا الكاتب الموهوب يجد الأعذار والحجج السياسية فوق جثث كتبه ومسرحياته ويعطي للأسلوب معنى المثقب أو الخنجر الصغير في موجة الغضب لا يختارها».

وفي مجال السياسة، كتب موريك عام ١٩٦٧ في مفكرته الرابعة «البلوك نوت» فيما يتعلق بجون لوكانويه: «وهكذا فإن الحركة الثورية ستوصل إلى «ذلك»، أي إلى مسيو لوكانويه! وهكذا ينهار الحزب ويبدو تيار النسيان بقاياها، كما لن يتبقى من ذلك الأمل العظيم سوى تلك الإبتسامة الدعائية وأسنانه الإثنيين والثلاثين».

وقد وصل موريك إلى حد التصريح بأنه لا يحتمل لوكانويه حتى في الرسم.

من أمثلة المعارك الجدلية التي تصدى لها موريك بضراوة تلك

التي بدأها كلود بورديه حين استنكر ذلك الإيمان المبالغ فيه وذلك التفاني غير المشروط الذي يميز علاقة مورياك بديجول.

وقد أظهر بورديه درجة عالية من المهارة. إلا أن رد فعل مورياك جاء عنيفاً ثائراً خاصة وأنه كان وحيداً منعزلاً آنذاك حيث كانت غالبية المثقفين تقف ضد ديجول وراح يكتب: «نعم، لقد كان علينا أن نختار، من مواجهة عناصر الجيش المتمردة، بين ديجول وهذا اللاشيء الذي كنت دائماً أنت نفسك - يا عزيزي بورديه - التعبير السياسي عنه.» وهكذا جاء الجزء من جنس العمل إن لم يكن أسمى منه.

لم يكن مورياك يقلل من شأن رجال السياسة المستغلين الذين لا ينتمون إلى أي من التيارات السياسية السائدة. وعلى العكس، لم يكن ينظر بعين الرأفة أو التسامح إلى القشل، بل كان يتوق إلى اكتشاف دلالات العظمة لدى الجيل الشاب.

لهذا كان يقدر موهبة بورديه حق قدرها وكان يكن لهذا الإنسان مشاعر ودية صادقة.

وبضاعف هذا من قدر كلمات مورياك ويعد دليلاً آخر على مدى التزامه بالصدق والحق في معاركه الجدلية.

فهو لم يلجأ - في سبيل كسب معركته - إلى الإدعاء أو الإفتاء والإغتياب. لكنه، بكل بساطة، ينجح عن يقين في تحويل النجاح إلى فشل.

ويقودنا الحديث هنا إلى أن نعرض ما ذكره مورياك عن فاليري جيسكار ديستان عام ١٩٦٥: «أما هو، فإنه سيد آخر. يصل دون عناء إلى الطبيعة».

إن هذا الشاب - الذي يصغر جميع وزراء المالية على مر العصور يجد نفسه مضطراً لأن يبسط الخطى، لأن يثبت في موقف متوازن لكي لا يصل مبكراً أكثر مما ينبغي، لكي لا يضطر إلى الجلوس على درجات سلم الإليزيه.

إنه لشيء رائع أن نشاهد سليل الطبقة البرجوازية العالية!... ولا شك أنه يتمتع لدي بميزة كبيرة لأنه ليس مسيو لوكانويه.

وأنا متفق على أنه يتمتع بمزايا أخرى فهو يحتفظ بفكرة خاصة عن جيسكار ليست بالفكرة التافهة.

لكن ما هو الانطباع الذي ستركه في شعبنا؟ ألا يعتبر - رغم عقله وحسن مظهره - يمينياً أكثر مما ينبغي لكي يكسب المعركة؟ اللهم إلا إذا جعلت الظروف من رجل «النعم، ولكن» المرشح الوحيد للديمقوليين.

وحيث، ينقسم الديموقليون وينتصر اليسار التقليدي. «وجدير بالذكر أن الأمور سارت كما توقع مورياك.

ذلك أنه كان يملك من الحس والإدراك للحقائق ما يكسبه القدرة على تفهم الأحداث والرجال.

وهو لا يلجأ إلى حل طلاس أو فك رموز بل يدرك ويستنتج وهكذا يتنبأ بالكوارث قبل وقوعها.

وإن كان مورياك مجادلاً رغباً عنه، فهو صحفي سياسي بملء إرادته. والصحافة السياسية في نظره «تعتبر أساساً اتخاذ موقف يومي فيما يتعلق بكل ما يمس السياسة الداخلية والخارجية.» (حديث لمورياك لصحيفة الحوليات في ٢٩ مارس ١٩٤٦ وكان عمره حينئذ واحد وستين عاماً).

في حين كان مورياك آنذاك يعتبر نفسه «روائياً عجوزاً» ومؤلفاً مسرحياً شاباً، لم يكن يعطي لنفسه لقب «صحفي محنك»، وكان يعلل ذلك بأن المقالات التي قدمها عام ١٩٣٦ في إيكودي باري أو «صدى باريس» ثم في الفيجارو عامي ١٩٣٧، ١٩٣٨ كانت تتسم بالطابع الأزلي.

والواقع أن مورياك خاض معارك سياسية كثيرة. فقد دافع عن الكاثوليك الباسك ضد فرانكو خلال الحرب الأهلية الإسبانية، مما أصاب قراءه بصدمة كبيرة.

وعند التحرير، خاض معركة جدلية مع كامو بشأن العفو. حيث كان المدير الشاب لصحيفة كومبا أو «المعركة» يرفض أن يتمتع المشتركون بالعفو.

لكنه يعود فيعترف فيما بعد بأن مورياك كان على حق في رأيه. كذلك استمتع مورياك بصفة خاصة بمناظراته الخطابية مع بيير هرفيه الذي كان حينئذ رئيس تحرير لومانتييه «الإنسانية».

كان موريك - رغم اعتقاده بأنه لا يزال صحفياً شاباً - يقر بأنه يتمتع بمزايا عديدة لانه بحكم نجاحه في أن يكون كاتباً، لم يكن هناك ما يخشاه من الآخرين ونتيجة لذلك كان يمكنه أن يكتب «بكل صدق وإخلاص». الأمر الذي كان موريك يقدره حق قدرة خاصة في بلد «مثل فرنسا حيث يصبح من الصعب بل ومن الخطير على المواطن الأعزل أن يبدي حكماً منزهاً نتيجة لاستبداد الأحزاب والمزايدات التي تتملق الشعب لتهيسجه .»

لقد امتهن موريك الصحافة وأراد أن يجعل من نفسه «شاهداً على تطور الأحداث وتفادي الخضوع لأي من الأحزاب أو الدفاع عن مصالح أي مجموعة ولم يكن يحرص على أن يتحاشى التناقض مع نفسه بقدر حرصه على أن يعبر بصدق عن كل ما يعتقد صواباً في الوقت الذي يكتب فيه.

وقد أدرك منذ البداية أن الأمور ميسرة له في ذلك المجال الذي بداه.

ومن جهة أخرى، استطاع موريك الصحفي أن يثبت أنه يمكنه الوقوف في نفس الوقت إلى جانب الجمهوريين الإسبان والمقاومة المطرودة واليهود المضطهدين والعرب المحتلين.

٧ - النضال السياسي لفرانسوا موريك

كتب موريك في عام ١٩٣٩ : « إن الفنان الكبير لا تغريه السياسة وإنني لأتوجس الخذر من هؤلاء الذين يغبطون الغزاة . لقد كان باراس يبحث في البرلمان عن الشيء الذي لم يكن يتوقعه من عمله » . وطبيعي أن موريك لم يكن ليكتب هذه السطور بعد مرور خمسة عشرة عاماً لأنه في عام ١٩٥٤ أصبح كاتباً سياسياً بل وأكثر من هذا قوة سياسية لكن ليس على طريقة باراس نائب مدينة باريس أو مالرو الوزير ، بل خارج نظام السلطة . فهو لم يكتسب نفوذه السياسي من انتمائه لأي حزب أو جانب بل من عبقريته الخاصة . لقد اقتحم موريك عالم السياسة ككاتب وجعل من السياسة موضوعاً له ، دون أن يقلل من موهبته وكتب : « لقد قررت أن أعبر عن ذاتي كلها في أي مقال أكتبه كما فعل بيكاسو في كل من رسوماته » . كان موريك ملتزماً ملتزماً كاملاً ، التزاماً ينبع من ذاته . هذا هو ما أتاح

لموريك مزيداً من التأثير والتفاعل مع جمهوره .

وقد خاض موريك هذا المجال في سن متأخرة وبصورة أحدثت تغييراً حقيقياً وتجديداً لموهبته وبعثاً لوجوده .

يتخذ موريك من الصحافة بعد ١٩٥٢ وسيلة أو أداة لمعركة سياسية . ويخلط في « البلوك - نوت » أو « مفكرتي » بين الإعتبارات الأدبية والفن والدين ، أي أنه يخلق عالماً فكرياً كاملاً . وربما لا نبالغ إذا قلنا أن موريك كان أول من نجح في تحقيق هذا التكامل . ويتميز « مفكرة » موريك أو البلوك - نوت بأنها تعليق فوري على الأحداث أي أن موريك يلاحظ الأحداث التي تدور حولها ويقيمها في نفس الوقت الذي تقع فيه . ويتميز موريك بالتقاطه للملامح المميزة بحيث يقدم تصويراً كاريكاتورياً حقيقياً .

بدأ موريك ارتباطه بالحياة السياسية في سن الثامن عشرة ، حينما اجتذبه صحيفة « السيون » وتبع مارك سونيه لعدة شهور . لكنه ترك هذا الطريق حين اجتذبه عالم الأدب والنجاح والتكريم . ومع هذا ، ظل يشعر ببعض الندم والحنين . وبعد مرور سنوات عديدة ، عاد موريك يرتبط بعالمه القديم ، وكتب في ١٨ مارس ١٩٥٤ م . « لقد انتهت قصتي ، لكن قصة العالم مستمرة وهي التي ستصبح قصتي » . هكذا راح موريك في شيخوخته يكافح وبناضل بدلاً من أن يجتر الذكريات . وهو لم يسع - من خلال السياسة - إلى نوع من التعويض لأنه كمؤلف ظل متمكناً من أسلوبه والتعبير عن معانيه . وإننا لندين لموريك ، الكاتب السياسي ، بإتاحة الفرصة لنا لكي نقرأ اليوم التاريخ القاسي في أوضح دلالاته وأسمى

معانيه . إن حياة الأفراد تختلط مع المصير السياسي للأمة بل إنها تتوقف إلى حد كبير على هذا المصير . وقد صرح مورياك في ١٠ ديسمبر ١٩٦٧ : « لقد كانت الحرب الأهلية الأسبانية هي التي دفعتني لكي اتخذ موقفاً . لماذا - حتى هذا الحين - لم أكن قد تحركت ؟ » ...

الواقع أن مورياك كان قد تحرك قبل هذا . ففي مقال له في سبتمبر ١٩٣٥ . احتج على صورة كاريكاتورية « لسيناب » كانت تمثل النجاشي في صورة قرد .

وإذا لم يكن مضمون المقال واضحاً كل الوضوح فإن نغمته كانت هي نفسها تلك النغمة التي سستسمع إليها بعد مرور عشرين عاماً ، وذلك الشعور بالاستنكار تجاه « الأسراب المتمدنة » التي تقصف « المتوحشين » .

لم يكن مورياك يتخذ موقفاً دون تردد سواء في عامي ١٩٣٥ - ١٩٣٦ أو فيها بعد في يونيو ١٩٤٠ أو في عام ١٩٤٦ م . . . أو عام ١٩٥٢ وكان مورياك دائماً يستغرق بعض الوقت لكي يحدد موقفه .

ففي بداية الحرب الأسبانية كان يتحدث عن مذابح متبادلة بين الفريقين . لكنه حين ساندت الكنيسة الأسبانية والبابوية حملة الجنرال فرانكو راح يهاجم كلاً منهما . وكان مجرد هذا التعبير عن رأي كاتب مسيحي لامع يحدث ضجة كبيرة في هذا الوقت . وإذا كان مورياك قد استنكر الموقف الرسمي لكنيسة فلإنها مع ذلك ظلت كنيسة التي يحرص على أن يرتبط بها وعلى ألا يدينها . بل وكان يردد

بعد الحرب : « إنني لا أريد أن أموت دون كاهن بجواري ! » .

إنها لا شك دعاية جادة لأن مورياك كان يعبر بها عن رغبته في أن يظل حتى النهاية مرتبطاً بالكنيسة ومنذ عام ١٩٣٦ ، يطلق مورياك على حركة فرانكو : « الفاشية » . ويعتبر كل من فرانكو وهتلر وموسوليني حلقة من النار تضيق الخناق حول أوروبا الديمقراطية التي تندلع فيها الخيانة والغدر .

طبعي ان ينضم مورياك الى المقاومة التي سيسجلها في « كراسته السوداء » حيث يوجه لومه للذين يتهربون من المسؤولية ويتعدون عن التجربة ويتخذون مع برنانوس وماريتان موقفاً مناهضاً لمكيا فيلي .

يقف مورياك إلى جوار الشعب ، إلى جوار البروليتاريا الكادحة . حقيقة أنه كان برجوازيًا وأنه كرر ذلك في أكثر من مناسبة وأنه كان أيضاً ثرياً ولم ينكر هذا بل كان يقول : أنا لست مثل برنانوس . لا يمكن أن يكون الجميع فقراء ! « لكن هذا البرجوازي الذي كان مع ذلك مسيحياً صادق الإيمان لم يكن من المدعين . فهو أبداً لم يلعب دور العامل أو المثقف اليساري . فقط اختار أن يقف في وجه الطبقة التي ينتمي إليها بل إن ألد أعدائه وأقسى هجوم وجه إليه كان من جانب البرجوازيين الذين لم يغفروا له هذه الخيانة .

كان مورياك في أثناء الحرب يبلغ من العمر ثلاثين عاماً فهو ينتمي إذاً إلى ذلك الجيل الذي ظل ينظر الى يوم ١١ نوفمبر ١٩١٨ كيوم عظيم وتاريخ لا ينسى ، ذلك اليوم الذي وقف فيه كليمنصو على منصة في مجلس النواب لكي يعلن الهدنة .

إن موريك من الذين يعتبرون فرنسا الدولة المختارة ذات الرسالة . وهو يشارك ببجي في هذا الرأي . إن صلابة موريك السياسية وقوة حجته تنبعان من إيمانه العميق بديانته وانتمائه الصادق لبلاده - ذلك أن موريك لا ينخلع من جذوره ابداً .

إن القيم التي يكافح من أجلها ذات وجود ملموس ومباشر . وها هو موطنه مالاجار يمثل بالنسبة إليه وجهاً إنسانياً . إن بلاده تكفيه . فهو لا يشعر بالرغبة في الإنطلاق بعيداً عنها ، لذا لم يكن موريك كثير الترحال والتجوال بل كانت رحلاته قصيرة ولم تتعد الأماكن القريبة فهو لم يصل إلى آسيا أو أميركا .

إن البلاد الخارجية تشكل بالنسبة له نوعاً من التهديد وسيظل موريك حتى وفاته ينظر إلى ألمانيا بنوع من الحذر والتوجس .

اما أوروبا فقد نخليلها في عام ١٩٤٥ وقد ولدت من جديد إنطلاقاً من التحالف بين الكاثوليكية والاشتراكية لكن الحرب الباردة تجمد موقفه في المعسكر الأطلنطي . وفي الفترة من ١٩٤٦ - ١٩٥٢ كان موريك أكاديمياً يمينياً يتميز بموهبة خاصة . خاض حملة ضد تطرف عملية التطهير لكنه خاضها وحده . كما حارب الستالينيين رفقاء الطريق بالنسبة للشيوعيين والمحايدين . كان موريك متحفظاً الى حد ما تجاه الأيديولوجية الديمقراطية المسيحية وقد عبر عن موقفه عام ١٩٤٩ بقوله : « لقد اعتقدت دائماً أنه من الأسهل على مسيحي يميني اذا كان صادق الايمان واذا كان يمارس الحقيقة تجاه نفسه أن يكتشف المصادر الملوثة لعاطفته أو لانفعاله خاصة اذا كان ينتمي الى الطبقة المميزة . . . اما الكاثوليكي اليساري فإنه من اليسير عليه أن

يغطي كراهيته ونفوره بدوافع معبرة وأن يخلطها بذلك التعطش للعدالة الذي كان مباركاً » .

ويدرك مورياك جيداً مستقبل الستالينية والشيوعية في أوروبا كما يدرك ذلك الفساد الذي نفشى في الجمهورية الرابعة .

والغريب أنه يبدو نصيراً مدافعاً عن اصحاب المكانة والثروة الذين هاجمهم من قبل . ويلوذ بالصمت فيما يختص بالظلم الرأسمالي وبحرب الهند الصينية . لم يتخذ مورياك هذا الموقف دون سبب أو تخلياً منه عن مبادئه ، فالواقع ان موقف مورياك كان يرجع أولاً وقبل كل شيء لوطنيته المطلقة وانتمائه الشديد لبلاده فلم يكن إذاً من اليسير عليه أن ينتقد الجيش أو أن يتهم فرنسا .

كذلك فقد كان يتطلع الى الحركة الثورية كضمان للنزاهة السياسية : « كنت أولي ثقتي لهؤلاء الفائزين ، اخواني في الإيمان الذين ينتمون في معظمهم الى سلالة مارك سوينيه » (٢٤ سبتمبر ١٩٥٥) .

إلا أن مورياك الذي لا يقبل الظلم بطبيعته ويرفضه في شتى صورته يصرح : « كنت أتلقي جائزة نوبل في نفس اليوم بل وفي نفس الساعة التي كانت فيها الجماهير البائسة في كازابلانكا تقع في الفخ الذي نصب لها » . ويعبر مورياك في مقالاته عن احتجاجه على تلك الفظائع التي ترتكب في المغرب وتحت عنوان « من أجل تحالف جديد بين فرنسا والإسلام » يتحدث مورياك عن الموضوعات والعناصر التي ستحتل مكان الصدارة طيلة عشرة أعوام ويستعرض

الصدّاقة مع الشباب الوطنيين في المغرب الذين يكتشف فيهم المشاعر الدينية والوطنية التي تتقارب مع طبيعته .

ويتأثر موريّاك بذلك التقارب الفكري والروحي الذي تعدي حدود المسيحية . ويتخذ استنكاره على الصعيد الأخلاقي أبعاداً سياسية ، ويتم تأسيس لجنة فرنسا والمغرب . لقد كشفت المشكلة المغربية لموريّاك عن عالم من العنف والفساد كان يشك في وجوده . وينقلب موريّاك وحشاً نائراً ضد هؤلاء الذين يسيئون لفرنسا ويشوهون علاقاتها بأصدقائها وحلفائها .

تعد سنة ١٩٥٤ سنة الكوارث حيث يضطرب المغرب ويشتد غليانه وتبلور الحرب التي ستصبح حرب الجزائر ، كما يشكل بيار منداس فرانس في نفس السنة الحكومة ، ويضع حداً لحرب الهند الصينية ، ويسوي المشكلة التونسية . وطبيعي أن يقف موريّاك إلى جواره وأن يسانده . ويردد موريّاك ان الكارثة ليست حتمية وان الحركة الواعية يمكن ان تداوي تلك الأمور التي اتلفتها التصرفات الشريرة أو الطائشة . لكنه مع هذا يقرر أن هناك حتميات تاريخية . نصل هنا إلى المعادلة الصعبة : هل الرجال هم الذين يصنعون الأحداث أم أن الأنظمة والتركيبات هي التي تحدّد حركة الرجال ؟ .

الواقع ان موريّاك أكثر ميلاً الى الرأي الأول فهو يعتقد أن الرجال العظام هم الذين يصنعون التاريخ . بل ويعبر في «البلوك - نوت» عن عواطف حقيقية وصادقة يكنّها هؤلاء الرجال . وإذا كان ديغول يمثل البطل في قلب موريّاك فإن منداس فرانس يفرض نفسه ويصل إلى تأييد موريّاك ومساندته لأسباب سياسية .

ان « البلوك - نوت » تكشف عن مدى وضوح رؤية موريك ونفاذ بصيرته فقد بررت الوقائع والأحداث كافة فروضه وأحكامه المسبقة . وعلى سبيل المثال ، فقد تنبأ موريك بأن الجمهورية التي تسير الى الضياع لن ينقذها سوى احد الجمهوريين المتفانين الذي يفرض على رجال السياسة أنظمة جديدة وسياسة جديدة فيما يتعلق بالاستعمار . وفي فبراير ١٩٥٥ عاد شارل ديغول ، من جهة اخرى ، كان موريك يعتقد أن اليسار محكوم عليه بالعجز إذا انفصل عن الحزب الشيوعي .

وقد ذكر ذلك بكل قسوة عند إنشاء التجمع الديمقراطي الثوري عام ١٩٤٧ وكرره في مايو عام ١٩٥٨ امام أصدقائه المناهضين للسياسة الاستعمارية .

وقد ثبتت صحة هذا الكلام حيث عانت فرنسا طويلاً من انعدام التفاهم بين اليسار والحزب الشيوعي ، حين عجز كل منهما عن تفهم الآخر . وفيما يتعلق بالحزب الشيوعي الفرنسي ، فإن موريك هاجم ستالين ومذهبه ، لكنه مع ذلك أعرب عن أسفه لأن الشيوعيين الفرنسيين تركوا المجال مفتوحاً أمام اليمين . وهكذا نجد - في « البلوك - نوت » - ذلك الجدل المختلط بالاستدلال والاستنتاج .

أي أن موريك خلط العمل السياسي بالعمل التربوي . فقد كان ملتزماً لكن التزامه لا ينتمي لحزب أو لاتجاه معين . فهو / وإن كان يتفق مع اليسار أحياناً / إلا أنه يختلف معه أحياناً كثيرة .

إن التزام موريك نابع من إيمانه وعقيدته الانسانية . فقد ساند

وناصر ما يعتبره صواباً سواء كان ينتمي لليمين أو اليسار .

في عام ١٩٥٦ ، تلك السنة الخزينة أقحم جي موليه حكومته في حرب الجزائر واختطف بن بيللا . وشن حملة قناة السويس ، وسط تهليل اليمين الذي يستند الى المافيا الجزائرية من الاقطاعيين والمستعمرين . إن سياسة موريك تجمع بين احترام دينه والولاء لوطنه ومراعاة حقوق الانسان .

كان موريك يستشيط غضباً ضد هؤلاء الذين يسيئون تأويل الإنجيل وكان يقول : « يبدو بالنسبة لبعض المسيحيين أن السياسة تصريح لاقتراف ما يمتنعون عنه في حياتهم الخاصة » . (٢٠ أغسطس ١٩٥٥) ويتعاطف موريك مع المسلمين المقهورين ويشعر بالإخاء تجاههم . في عام ١٩٥٨ ، يعود ديغول الى السلطة ويتنفس موريك الصعداء ويحسد سياسته ويتضح من كتابات موريك التي خصصها لديغول مدى الإلتفاء الذي يوليه لهذا الرجل وتلك الصورة المثالية التي رسمها له .

ويتلقى موريك من ديغول صورة له عليها إهداء : الى فرانسوا موريك ، تلك القوة المشعة بالضوء » . كما يتلقى موريك من ديغول وسام الشرف . ويحس حينئذ أن موهبته في الكتابة قد تعرضت لنوع من التخدير ، في حين شحذت موهبته السياسية وجدير بالذكر أن موريك خصص لديغول كتاباً لا يعد من أنجح كتبه .

كان موريك يعلم أن اليسار غير قادر على المقاومة ، لكنه لم يكن يستطيع أن يلومه في الوقت الذي يؤيد فيه ديغول ضد الجميع ويؤيد

مسيرة السلام مع الجزائر التي استمرت أربعة أعوام . ويوقع ديغول الهدنة مع الجزائر لكن ما توقعه موريك يقع بالفعل ، حيث يتحقق الاستقلال الجزائري على حساب الوجود الفرنسي . وعلى أي حال ، فإن موريك كان دائماً يشيد بأولوية شارل ديغول على جميع رؤساء الدول في عصره لقد احتفظ موريك دائماً بمسافة معينة وباستقلال خاص به رغم التزامه لكي يحقق لنفسه الحرية :

« ربما كنت الشخص الوحيد الذي يستطيع اليوم أن يقول ما يعتقد أنه الحق غير آبه بأية أوامر أو تعليمات » (١٤ فبراير ١٩٥٦) .

لم يكن موريك فكرياً سياسياً وحسب بل كان قوة سياسية ، قوة فعالة تساند المظلوم وتقف في وجه الظالم بغض النظر عن اللون أو الجنس أو العقيدة .

ساند الشعوب المغلوبة على أمرها ، واعترف بحق كل أنسان وانطلقت سياسته من مفهوم روحي وأخلاقي يتميز بالانسانية والوفاء . كان موريك قوة سياسية داخل فرنسا وخارجها ، كان قوة سياسية بالقلم وبالفعل

قائمة بأعمال فرانسوا مورياك

- ١٩١١ - «وداعاً للمراهقة» - الناشر ستوك .
١٩١٣ - «الطفل المكبل بالقيود» - الناشر جراسيه .
١٩١٤ - «ثوب النبلاء» - الناشر جراسيه .
١٩٢٠ - «الجسد والدم» - الناشر إميل بول .
١٩٢١ - «المصالح البالية» - الناشر إميل بول .
١٩٢٢ - «قبلة الأجناس» - الناشر جراسيه .
١٩٢٣ - «نهر النار» - الناشر جراسيه .
١٩٢٣ - «جينيتريكس» - الناشر جراسيه .
١٩٢٤ - «حياة شاعر ومماته» - الناشر بلود وجاي . (خاص
بالشاعر أندريه لافون)

- ١٩٢٥ - «صحراء الحب» - الناشر جراسيه .
- ١٩٢٦ - «الشباب والأقاليم» - الناشر هاشيت .
- ١٩٢٦ - «بورردو» - الناشر إميل بول .
- ١٩٢٦ - «الإلتقاء بباسكال» - الناشر لي كاييه ليبر
- ١٩٢٦ - «معاناة جاك ريفيير» الناشر لا نويه بلو، ستراسبورج
- ١٩٢٧ - «تيريز ديسكيرو» - الناشر جراسيه
- ١٩٢٨ - «المصائر» - الناشر جراسيه .
- ١٩٢٨ - «حياة جون راسين» - الناشر بلون .
- ١٩٢٨ - «كتاب المسرح» - (مجموعة مقالات من النقد المسرحي) .
- لي كاييه دو كسيديون - مكتبة فرنسا .
- ١٩٢٩ - «الله والشيطان» - الناشر لو كابيتول .
- ١٩٣٠ - «الذي كان ضائعاً» - الناشر جراسيه .
- ١٩٣٠ - «ثلاثة رجال عظام أمام الله» - الناشر لو كابيتول -
(موليير - روسو - فلوير)
- ١٩٣١ - «بليز باسكال وشقيقته جاكلين» - الناشر هاشيت .
- ١٩٣١ - «الدم المسيحي وسعاده» - الناشر جراسيه .
- ١٩٣١ - «الخميس المقدس» الناشر فلاماريون
- ١٩٣٢ - «مكمن الأفاعي» - الناشر جراسيه .
- ١٩٣٣ - «لغز فرونتوناك» - الناشر جراسيه .
- ١٩٣٣ - «الروائي وشخصياته» - الناشر كوريا .
- ١٩٣٤ - «الجورنال الأول» - الناشر جراسيه .
- ١٩٣٥ - «نهاية الليل» - الناشر جراسيه .
- ١٩٣٦ - «الملائكة السوداء» - الناشر جراسيه

- ١٩٣٦ - «حياة المسيح» - الناشر فلمازيون.
- ١٩٣٧ - «الجورنال الثاني» - الناشر جراسيه.
- ١٩٣٨ - «أسموريه» - باريس. جراسيه. مسرحية من خمسة فصول - ٢٢٩ صفحة - أول عرض في ٢٢ نوفمبر ١٩٣٧ في الكوميدي فرانسيز.
- ١٩٣٨ - «الغوص» - الناشر جراسيه.
- ١٩٣٩ - «طرق البحر» - الناشر جراسيه.
- ١٩٣٩ - «المنازل الزائلة» - الناشر جراسيه.
- ١٩٤٠ - «دماء آتيس» - الناشر جراسيه.
- ١٩٤٠ - «الجورنال الثالث» - الناشر جراسيه.
- ١٩٤٣ - «الكراسة السوداء» - الناشر لومينويه - (تحت اسم مستعار: فورين)
- ١٩٤٥ - «الذين أسبىء حبهم» - باريس - جراسيه - ٢٠٧ صفحة. مسرحية من ثلاثة فصول - أول عرض في أول مارس ١٩٤٥ في الكوميدي فرانسيز.
- ١٩٤٥ - «الكمامة المنفكة» - الناشر جراسيه.
- ١٩٤٥ - «الالتقاء بباراس» - الناشر لا تابل روند.
- ١٩٤٧ - «في إتجاه بروس» - الناشر لا تابل روند.
- ١٩٤٨ - «مرور الماكر» - باريس - جراسيه - مسرحية من ثلاثة فصول. ١٥٥ صفحة. أول عرض في ٩ ديسمبر ١٩٤٧ على مسرح لا مادلين.
- ١٩٤٨ - «صحيفة رجل في الثلاثين من عمره» - الناشر إجلوف.
- ١٩٤٩ - «العظماء الذين أثروا في» - الناشر لوروشيه - (باسكال -

- مولير- فولتير- جون جاك روسو- شاتوبريان- موريس
وأوجينيه دي جيران- بالزك- فلوير- لوتي- باراس-
أندريه جيد- راديجيه- جراهام جرين).
١٩٥٠ - «الجورنال الرابع» - الناشر فلمازيون.
١٩٥١ - «القدر» - الناشر لا بالاتين.
١٩٥١ - «النار على الأرض» أو «بلاد بلا طريق» - باريس،
جراسيه - مسرحية من أربعة فصول - ١٩٤٤ صفحة.
أول عرض على مسرح هيبوتو في ليون في ١٢ أكتوبر
١٩٥٠ - في باريس في ٧ نوفمبر ١٩٥٠.
١٩٥٢ - «جاليجي» - الناشر فلمازيون.
١٩٥٣ - «الجورنال الخامس» - الناشر فلمازيون.
١٩٥٤ - «الحمل» - الناشر فلمازيون.
١٩٥٥ - «الخبز الحي» - سيناريو وحوار فيلم سينمائي - الناشر
فلمازيون
١٩٥٨ - «البلوك - نوت» أو «المفكرة» (١٩٥٢ - ١٩٥٧). الناشر
فلمازيون.
١٩٥٨ - «ابن الإنسان» - الناشر جراسيه.
١٩٥٩ - «مذكراتي الخاصة» - الناشر فلمازيون.
١٩٦١ - «البلوك - نوت الجديدة» أو «مفكرتي
الجديدة» - (١٩٥٨ - ١٩٦٠) الناشر
فلمازيون.
١٩٦٢ - «ما أعتقد» الناشر جراسيه.
١٩٦٤ - «ديجول» - الناشر - جراسيه.

- ١٩٦٥ - «مذكراتي الخاصة الجديدة» - الناشر فلمازيون
- ١٩٦٦ - «آخرون وأنا» - جراسيه - مجموعة نصوص لموريك جمعها
وعلق عليها كيث جوسن.
- ١٩٦٧ - «مذكراتي السياسية» - الناشر جراسيه.
- ١٩٦٨ - «البلوك - نوت الجديدة» ١٩٦١ - ١٩٦٤ - الناشر
فلمازيون.
- ١٩٦٩ - «مراهق الأمس» - الناشر فلمازيون.
- ١٩٧٠ - «البلوك - نوت الجديدة» - الناشر فلمازيون.
- ١٩٧١ - «البلوك - نوت الأخيرة» - الناشر فلمازيون.
- ١٩٧٢ - مالتا فارن - (تكملة لقصة مراهق الأمس لم يتمها
موريك). الناشر فلمازيون.

قائمة بالأعمال الجماعية التي ساهم فيها موريك

- ١٩٤١ - «إكليل السنوات». صور من الماضي والحاضر. اشترك
في إعدادها: أندريه جيد، جول رومان، كوليت،
فرانسوا موريك. الناشر فلمازيون. ٩٣ صفحة.
(الشتاء بقلم فرانسوا موريك ص ٦٩ - ٨٨).
- ١٩٤١ - «تقاليد من ثقافتنا». بقلم ج. جادوفر، شमित، د.
دوكاس، ج. مادول، بيير-هنري سيمون، بريس
بارن، دانيال رويس، ج. هوردان، ج. - حوييه، ه.
جيلمان، فرانسوا موريك. باريس - الناشر لو سارف،

- مجموعة «لقاءات» - ١٧٤ صفحة.
- ١٩٤٦ - «تعاقب». ستة عشر نصاً لم تكتمل لفرانسوا موريك،
جون جيرودو... إلخ. باريس - الناشر لو جيريبه.
١٣٧ صفحة (ص ١١ - ١٤، ذكريات ما بعد الحرب
العالمية السابقة).
- ١٩٤٦ - «تجارب في الظل» - بقلم فرانسوا موريك) جورج
دويامل، إلخ... الناشر جورج - باريس - هارتمان -
المجموعة الباريسية للطباعة السرية، ١٠٦ صفحة.

قائمة بالمؤلفات الخاصة بفرانسوا موريك

- ١٩٣٦ - «فرانسوا موريك» - بقلم آميلي فيون - الجمعية الفرنسية
للنشر الأدبي - إدجار مالغار - «مكتبة لوهيريسون».
- ١٩٣٨ - «كونفرنسيا» - جورنال جامعة الحوليات - مؤتمر عقده
فرانسوا موريك بالاشتراك مع ماري بيل وفتورا ودونو
من الكوميدي فرانسيز.
- ١٩٥١ - «فن فرانسوا موريك» - نللي كورمو - باريس -
جراسيه - مقدمة بقلم فرانسوا موريك.
- ١٩٥١ - «الأعمال الكاملة لفرانسوا موريك» - الناشر فيارد.
- ١٩٥٣ - «فرانسوا موريك» - بقلم جاك روبيشون - الناشر أو
نيفرس س. د.، «الأدباء الكلاسيك في القرن
العشرين» رقم (٧).

- ١٩٥٣ - «موريك بقلمه». بقلم بيير- هنري سيمون - الناشر
لوسوي. «الكتاب الخالدون»
- ١٩٦٤ - «موريك، الخطيئة والفضيلة»، بقلم برنارد روسيل -
الناشر سنتوريون.
- ١٩٦٥ - «الاحتفال بالعيد الثمانين لميلاد فرانسوا موريك» -
بمسرح بوردو - دلاس.
- ١٩٦٧ - «موريك» - بقلم سيسيل جنكينز - إدينبورج - أوليفر آند
بويد - (كتاب ونقاد ٤٩).
- ١٩٦٨ - «عرض لأعمال فرانسوا موريك» - أعد «الكتالوج»
فرانسوا شابون . المكتبة الأدبية لجاك روسيه . مخطوطات
باليد، نصوص لم تكتمل، إلخ. . . ٢ يناير - ١٥ مارس
١٩٦٨.
- ١٩٦٩ - «لقاء فرانسوا موريك» - فرناند سوجين - «هنا راديو
كندا» - هذا العمل مأخوذ في معظمه عن برنامج يسمى
«ملح الأسبوع» يعرض في التلفزيون الفرنسي . دار نشر
«الإنسان».
- ١٩٧١ - «موريك المسيحي» - المركز الكاثوليكي للمثقفين
الفرنسيين - دكلييه دو براور.
- ١٩٧١ - «موريك» - جون دو فابراج - الناشر بلون.
- ١٩٧٢ - «فرانسوا موريك أو عاطفة الأرض» - برنارد شوشون -
أرشيف الأدب الحديث. ١٩٧٢ (٨). رقم ١٤٠ -
دراسات خاصة بالنقد وتاريخ الأدب. (تأسست عام
١٩٥٧) تحت إشراف ميشيرج. مينارد.

- ١٩٧٢ - «موريك - إيفا كوشنر - دكلييه دو براور - (الكتاب أمام الله).
- ١٩٧٣ - «فرانسوا موريك» - ميشيل سوفران - سيجيه - «كتاب الأمس واليوم».
- ١٩٧٤ - «فرانسوا موريك وملكتة (قريحته)» - جون توزو - الناشر بيير هوراي.
- ١٩٧٥ - «تحية لفرانسوا موريك» - فيليسيان مارسو - «أمسيات أدبية».
- ١٩٧٥ - «شعر فرانسوا موريك» - جاك مونتفيرييه - مجلة الأدب الحديث.
- ١٩٧٦ - «دفاتر فرانسوا موريك» - الجمعية الباريسية لأصدقاء فرانسوا موريك - الناشر جراسيه - ١٩٧٦ رقم ٤.
- ١٩٧٧ - «فرانسوا موريك» - بقلم مارك آلان، جون دانيال، جابريال دولوناي، آليس دولوناي ستورال، جون - ماي دونريناسن، جون لاكوتور، جاك مادول، أندريه سيبي. «مجموعة جيني إي رياليتيه» (عبقريات وحقائق).
- ١٩٧٧ - «موريك قبل موريك» - مجموعة نصوص جمعها وقدمها جون توزو. الناشر فلاماريون.
- ١٩٧٨ - «الأعمال الروائية والمسرحية الكاملة لفرانسوا موريك» - الجزء الأول والثاني - لا بلياد - الناشر جالليمارد.
- ١٩٧٩ - بالإضافة إلى ذلك، توجد أعمال كثيرة خصصت أجزاء كبيرة منها

لفرانسوا موريالك. كما أن هناك أعداد هائلة من الصحف التي كتب فيها موريالك على مدار حياته في شتى المجالات الأدبية والفنية والسياسية.

محتويات الكتاب

٥	١ - مقدمة
٧	٢ - نبذة عن حياة فرانسوا موريك
١٧	٣ - مولد شاعر
٤٥	٤ - موريك عملاق القصة
٩٥	٥ - موريك بين النقد والتأليف المسرحي
١٥٧	٦ - عالم حافل بالصحافة والجدل
١٧١	٧ - النضال السياسي لفرانسوا موريك
١٨١	قوائم بأعمال فرانسوا موريك

دار نعمة للطباعة
الرملة البيضاء
تلفون: ٨٠٢٢٤٦ - بيروت

صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر
من سلسلة أعلام الفكر العالمي

فرائز فانون	غوته	غرامشي	سقراط
راسل	دستوفسكي	اودن	تولستوي
البير كامو	لوركا	توماس مان	أفلاطون
ماركوز	لوكاش	ادغار آلان بو	جان راسين
غيفارا	غوركي	رينان	أبيقورس
هيدجر	فيبر	سبينوزا	فيخت
ماركس	روزا لكسمبورغ	دوركيم	باريتو
فرويد	جويس	فلوير	سيزار بافيز
نيشيه	داروين	فورييه	إزرا باوند
انجلز	تورغنيف	بيرون	بودا
ديكارت	طاغور	سرفانتس	كلوديل
هيجل	ماياكوفسكي	بيرانделلو	سانت إكزوبيري
سارتر	اندرية جيد	سان سيمون	إيسن
اندرية مالرو	فوكزر	مالارميه	مرلو بونتي
كافكا	غوغل	تروتسكي	فيورباخ
بوشكين	أورويل	لورانس	نريستان نزارا
بريخت	برودون	هنري ميلر	غارودي
بيكيت	بودلير	تشيفوف	لوثر
اراغون	انتول فرانس	بلزاك	لويس ماسينيون
متزني	رامبو	غراهام غرين	برميدس
ميكيافيلي	اوسكار وايلد	بروست	كالفين
كانط	شناينك	ديكنز	مونييه
هوغو	برنارد شو	بييلنسكي	

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

بنية برج الكائنات. ساحة التحرير. ١٩٩٩
سوق موكالي بيروت. ص ١٠٠ ١٩٩٩

التمن
أو ما يناديها